الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

صورة المرأة في المجموعة القصصية " سر البيت المفتوح " لـ: سعدي صباح . نماذج مختارة

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماستر في الآدَاب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ: نقد أدبي

إعداد الطالبة:
سهام جهرة

إشراف الدكتورة:
حكيمة سبيعي

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
أسيا جريوي	دكتورة	رئيسا
حكيمة سبيعي	دكتورة	مشرفا ومقررا
شهيرة برباري	أستاذة	مناقشا

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ
2016م/ 2017م

شكر وعرفان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ لَمْ يَشكُر النَّاسَ لَمْ يَشْكُر اللهَ " ، اقتداءً بهذا الحديث أتقدّم بأصدق معاني الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة " **سبيحي حكيمة** " التي لم تبخل علي بالنصح والتّوجيه ، كما أشكر اللّجنة المناقشة والكاتب المبدع " **سعدي صبّاح** " الذي كان لي عونًا وسندًا في هذا البحث .

كما لا أنسى أن أتقدّم بالشكر إلى أخي الذي لم يبخل علي بالمساعدة ، وإلى كلّ من قدّم لي يد العون وساعدني في إنجاز هذا البحث .

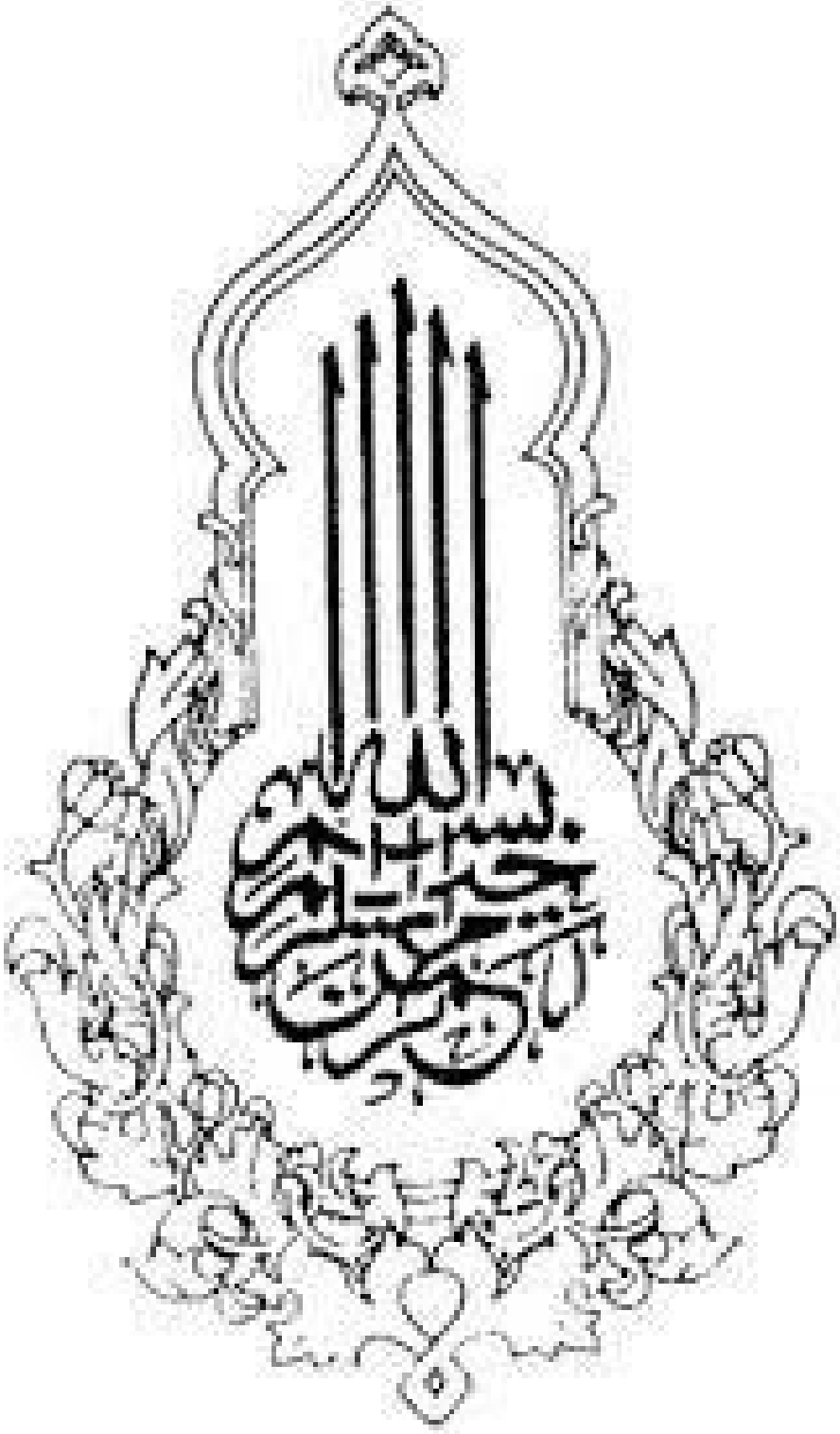

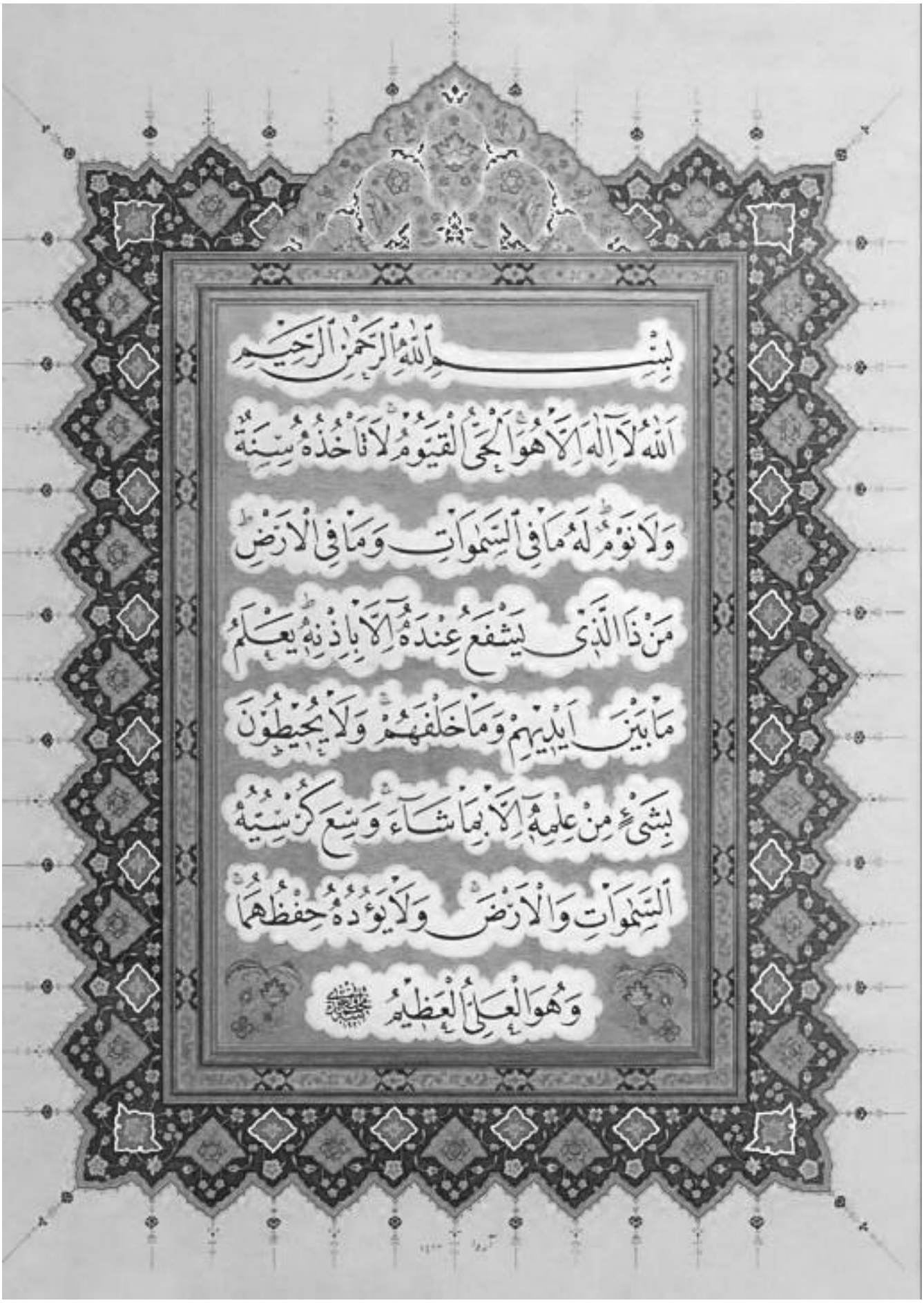
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ
وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

مقدمة

عانت المرأة من المعاملة الدونية لها من قبل الرّجل ، فكانت في أغلب المجتمعات مهمّشة مهضومة الحقوق ، خاضعة للواقع ، رهينة أعراف وعادات وتقاليد ، رغم ما جاء به الإسلام ، من تعاليم أنصف فيها المرأة ، ومنحها جميع حقوقها وأبان لها واجباتها.

إلاّ أنّه في العصر الحديث ظهرت تيارات فكرية ، راحت تناقش قضية المرأة في كتاباتها بهدف التنوير ومسح غبار التعصّب عنها ، تدعو إلى تحرّرها امتثالاً بالمرأة الغربية، فكان لهذه الدّعوة السافرة نتائج وخِيمة في بعض المجتمعات العربية منها : ظهور الفاحشة ، الخلاعة ، العربدة ، البغاء وانتشار الآفات الاجتماعية كالمخدرات .

فكان قلم " سعدي صبّاح " الكاشف عن سرّ ولوج المرأة لهذا المجال من خلال مجموعته القصصيّة " سرّ البيتِ المفتوح " ، فكانت لكلّ قصة أحداث وشخصيات مختلفة تصوّر الانحراف ، لكن النتيجة واحدة ألا وهي ممارسة البغاء ، والذي سنحاول تبيان صورة المرأة من خلاله .

ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية : كيف كانت علاقة المرأة بالرّجل قبل مجيء الإسلام ؟ وهل كان للتقدّم الغربي تأثيرًا مباشرا في ظهور التيارات الفكرية التحرّرية العربية ؟ وهل لتحرّر المرأة سببًا في ظهور الفاحشة والبِغاء ؟ هل استقى " سعدي صبّاح " مادته من الواقع المعاش؟

إذا ما نظرنا إلى أغلب أعمال "سعدي صبّاح" نجد أنها لا تخلو من عنصر المرأة فقد عالجها من جميع المناحي والقضايا ، فكانت منها الأم والزوجة والحبيبة والعاملة والمتعلّمة وغيرها ، إلاّ أنّ الدّراسات التي أجراها المحلّلون على أعمال "سعدي صباح " لم يركّزوا على هذا العنصر فكانت معظم دراساتهم إما أسلوبية أو سيميائية أو عبارة عن نظرة جمالية ، لهذا جاءت هذه الدّراسة لتسلّط الضوء على المرأة في أعمال " سعدي صبّاح " .

ولكن إذا ما عدت إلى الدّراسات التي تناولت عنصر المرأة بعامة فهي كثيرة نذكر منها : المرأة في الرواية الجزائرية لـ: صالح مفقودة ، المرأة في الأدبيات المعاصرة (مصر أنموذجا) لـ : محمد يوسف سواعد ، وغيرها .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي مع الاستعانة ببعض المناهج منها المنهج السيميائي والمنهج الأسلوبي، هذه المناهج التي أسهمت في بناء البحث وذلك لبيان صورة المرأة النّمطية وتوضيح الأدوار التي وظفها فيها "سعدي صباح " في المجوعة القصصيّة التي بين أيدينا ، في ضوء خطة شملت : مقدمة ، ومدخل وفصلين تطبيقيين وخاتمة .

فقد تناولت في المدخل : صورة المرأة بين القديم والحديث ، وعالجت فيه صورة المرأة في الحضارات القديمة و تاريخ العبرانيين والمسيحيين ، ثم العصر الجاهلي مرورا بالإسلامي والعباسي وصولا إلى عصر الانحطاط .

ثم عرّجت إلى صورة المرأة في العصر الحديث وظهور التيارات الفكرية الدّاعية لتحرّر المرأة وسفورها ثم المرأة في المجتمع وأهم الأدوار التي تقوم بها داخل البناء الأسري كزوجة وأهم الأسباب التي تؤدي بانحرافها وتمارس البِغاء .

أما الفصل التطبيقي الأول فقد تضمن دراسة تحليليّة للمجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " ، وملخّص النّماذج القصصيّة المختارة وهي : (أَسِيرُ الخشخَاش ، زَوجتِي الخَشِيبة ، عَلى شَفير الهَاوية ، حِينَ سَقطَت قَمر ، سِرّ البيتِ المَفتوح ، مَوت سَعدية ، بُهتَان امرَأة ، ظَبية الصَحَاري ، أَطلال مَنَّاعة) ، ثم أهم أدوار المرأة من خلال المجموعة القصصيّة .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه صورة المرأة وأهم صور البيان التي منحها إيّاها الشاعر و التي كانت شائعة الاستعمال عند الشعراء القدماء من العصر الجاهلي إلى غاية

العصر العباسي ، وأبرز الصفات المعنوية والحسّية ، ثم تناولت في العنصر الثاني صورة المرأة التي يستخدمها الكتاب في الكتابات المعاصرة ، وفي الأخيرة ذيّلت البحث بخاتمة شمِلت أبرز النتائج التي توصلت لها .

وقد استعنت بعدّة مصادر ومراجع أذكر منها : القرآن الكريم ، صحيح مسلم لـ : أبي الحسن مسلم ، المرأة في ظلّ الإسلام لـ: مريم نور الدين فضل الله ، تطوّر المرأة عبر التاريخ لـ : باسمة كيّال ، وغيرهم ، ومن الصعوبات والعوائق التي واجهتني لإنجاز هذا البحث فهي قلّة المصادر والمراجع ، وغياب الدراسات الأدبية عن المرأة في الأدب الجزائري فكانت معظم الدراسات عن المرأة والبغاء في المجتمع المصري.

ولا يسعني في الأخير سوى التّقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة " سبيعي حكيمة "التي كانت لي سندا في هذا البحث والتي أخلصت بالنصح والإرشاد.

مدخل

صورة المرأة في المجتمع بين القديم والحديث :

1. صورة المرأة في العصور القديمة .
2. صورة المرأة في العصر الحديث .

1. صورة المرأة في العصور القديمة :

تلعب المرأة دورًا فعّالاً في البناء الأسري باعتبار أنّها نصف المجتمع فهي الأم الزّوجة ، الأخت والابنة ،وباختلاف أدوارِها تتطلّع المرأة إلى تحقيق التّماسك الاجتماعي داخل البنيّة الأسريّة، إلاّ أنّه في المجتمعات قبل الجاهليّة أو بالأحرى في العصور القديمة لم تحظ المرأة بمثل هذه النّظرة ، فكانت نظرتهم لها أكثر دونيّة واحتقارا .

وإذا ما عُدنا إلى المجتمعات القديمة بدءًا بالحضارة الأشوريّة والتي تعتبر من أقدم الحضارات ، نجد أنّ المرأة " تُعتبر مُلكا للرّجل وله الحق في أن يحرمها ما تملك ويطلّقها متى أراد ولا فرق بينها وبين الحيوان الأعجم " [1]، إضافة إلى أنّهم قد أخضعوا المرأة للحجاب و " كان مطبّقا على الحرائر دون الإماء و العواهر والدّاعرات ، بل كانت توقّع على الأمة أو العاهر التي تتحجّب عقوبات شديدة " [2].

و إذا ما نظرنا إلى المرأة في المجتمع اليوناني أو الحضارة الإغريقيّة " نلمس بأنّها كانت مسلوبة الحرّية والإرادة والمكانة الاجتماعيّة وفي كلِّ ما يرجع إلى الحقوق الشرعيّة [...] و محرومة حتى من الثّقافة العامّة " [3]، فالمرأة اليونانيّة عانت من التّمييز بينها وبين شقيقها الرّجل ، في حين أنّه كان يتلَقى الدّروس والتّعليم على عكسها هي .

---

[1] مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، دار الزهراء للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، (د ط) ، (د ت)، ص 24.

[2] باسمة كيّال : تطور المرأة عبر التاريخ ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، لبنان ، (د ط) ، 1981 ، ص 31.

[3] المرجع نفسه ، باسمة كيّال : تطور المرأة عبر التاريخ ، ص 32.

إضافة إلى هذا " كانت المرأة في غاية الانحطاط وسوء الحال (...) فلم تكن في مجتمعهم بمنزلة أو مقام كبير (...) في كلّ جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، وأمّا منازل العزّ والكرامة في المجتمع ، فكانت كلّها مختصة بالرّجل " [1].

إلاّ أنّ معاناة المرأة الإغريقيّة وتهميشها لم يدم طويلا ، وأعادت الاعتبار لذاتها من خلال منح المجتمع للمرأة الحريّة المطلقة ، وذلك " لمّا أخذت الحضارة الإغريقيّة تتطوَّر وتتقدَّم ، تبدّلت أوضاع المرأة الإغريقية بشكل جذري وسريع ، فراحت ترتاد الأندية ، وتختلط بالرِّجال ، ممّا أدى إلى إشاعة الفاحِشة والزِّنا (...) و اتُّخذِت التّماثيل للنّساء العاريات باسم الأدب والفن " [2].

كذلك نلتمس النّظرة الدونيّة للمرأة الرّومانية ،ونفس المعاملة والتهميش الذي تعاني منه من قبل الرّجل فهي لا تختلف كثيرا عن نظيرتها في المجتمع اليوناني ، " ففي هذه الأمّة أيضا نرى القوانين والأنظمة كانت تميل إلى الظّلم والحرمان والاضطهاد تجاه المرأة (...) ، حتى بلغ من تعسّف الرّجل وتسلّطه في هذا الشّأن أنّه يجوز له قتل زوجته في بعض الأحيان " [3].

وأمّا حقوقها القانونيّة والاجتماعيّة وحتى الطبيعيّة منها فقد كانت " خاضعة لسلطة ربّ العائلة (...)، ويعتبر وليُّ أمرها هو رئيسها الدّيني المباشر ، يرشِدُها ويعِظُها كما يشاء " [4] .

---

[1] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 24.

[2] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 34.

[3] المرجع السّابق ، مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 25.

[4] المرجع السّابق ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 37.

وحينما بلغت روما من التّرف والبذخ أوجّها في عصرها الذّهبي بقي " احتقارهم لنسائهم يعاملوهن معاملة الخدم والإماء (...) ممّا جعل المرأة تنجرف في تيّار الاستهتار ورأت أنّها لا تصلح إلاّ لإرضاء الرّجل وتلبيّة رغباته ، عندها تفجّر بركان الفحشاء والفجور " [1].

وبانحطاط المستوى الأدبي والأخلاقي لهذا المجتمع لم يمنعهم أن يقوم " داعي اللّهو والتّرف إلى إخراج النّساء من خدورهن ليحضُرن معهم مجالس الأُنْس والطرب ، فخرجن كخروج الفؤاد بين الأضلع ، فتمكَّن الرّجل لمحض حظّ نفسه ، من إتلاف أخلاقهن وتدنِيس طهارتهن وهتك حياتهن حتى صرن يحضُرن المراقص ويُغنين في المنتديات وساد سلطانهن " [2]. وبهذا " أصبحت المسارح مظاهر للخلاعة ، والتبرّج الممقوت ، وزُيّنت البيوت بصور ورسوم كلّها دعوة سافرة إلى الفجور و الدّعارة و الفحشاء " [3].

ولكن حال هذه الحضارة لم يدم طويلا كغيرها من الحضارات " حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري " [4].

أمّا المرأة في عصر الفراعنة في الحضارة المصريّة القديمة فقد كانت على غير ما كانت عليه شقيقاتها في الحضارات السّابقة فقد " كانت تتمتّع بحرّيتها الكاملة تخرج من منزلها دون رقيب وتتجول وتتنزّه وتزور من تشاء من النّاس " [5] .

---

[1] مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، ص 26.

[2] عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظلّ الجاهلية القديمة والحديثة ، الموقع الالكتروني (الإسلام اليوم) ، www.islamtoday.net 2017/1/28 ، 12:49 .

[3] المرجع السّابق ، مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، ص 26.

[4] الموقع السّابق ، عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظلّ الجاهليّة القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم.

كذلك عانت المرأة الصّينية من اضطهاد الرّجل لها بتسلّطه عليها ومعاملته لها كالعبد ، رغم ما تمتلك من حرّية ، فكان يرى في نفسه أنّه يحق له أن يفعل بها ما يشاء وحتى أنّه كان " بإمكان الرجل أن يبيع زوجته كالجاريّة ، وإذا توفي عنها زوجها وترمّلت تصبح كجزء من الثروة المتعلّقة بعائلة زوجها ، وليس لها في أن تتزوج مرة ثانية ، ويحق للزوج دفن زوجته حيّةً ، دون أيّ اعتراض من أيٍّ جهة ثانية " [1].

أمّا حقوق المرأة المدنية كالميراث فهن " لا يرثن ، وحصة الابن الأكبر من الميراث تكون هي الكبرى وليس للبنت أن تطلب من مال أبيها شيئا ، لأنّ البنت لا ترث " [1] ، بهذا فإنّ المرأة في الحضارة الصّينية القديمة قد هضمت جميع حقوقها الشرعية والطبيعية ، كحق الحرية و حق الميراث وحق التملّك حتى حق الحياة فدفنت حيّة دون أيَّ اعتراض . حتى أنّها و قد " شُبِّهت عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السّعادة و المال " [2].

لاقت المرأة في عصر الحضارة الهندية القديمة من الذلّ والمهانة ما عانته أيَّ امرأة في القديم ، غير أنّ الجدير بالذكر هو أنّ المرأة الهندية " إذا مات بعلها ولم يوجد لها قريب له تكون في رعايته وتحت كنفه ، وجب عليها أن تموت بموت زوجها حيّة " [3]، بحيث يقوم الهنود بوضع المرأة على نيران زوجها المتوفى وهي حيّة . " حتى أنّ الاستعمار البريطاني وجد صعوبة في إزالة هذه العقيدة الوثنيّة منهم " [4]، إضافة إلى هذا

---

[1] مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 22.

[2] عبد الرحمن علي بن إسماعيل ، المرأة في ظلّ الجاهلية القيمة والحديثة ، الإسلام اليوم.

[3] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 43.

[4] الموقع السّابق ، عبد الرحمن بن علي إسماعيل ، المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

أنّ المرأة لم تعرف الاستقلال والحرّية والاستقرار بحيث " كانت النّساء تُحتسب جزءًا من الغنائم الحربيّة ، وبعد النّصر تُقسَّم بين الأفراد الفاتحين جبرًا " [1].

أمّا المرأة اليهوديّة فهي الأخرى ذكرها تاريخ العِبرانيين وعانت من الذلِّ والمهانة والحقوق المسكوت عنها حتى أنّهم " كانوا يعتبرون المرأة لعنة " [2]، وذلك لأنّ حوّاء قامت بإغواء آدم (عليه السّلام) بالأكل من الشجرة المحرّمة وقد " جاء في التّوراة أنّ المرأة أمر من الموت " [3]، إضافة إلى أنّ " المرأة لم تكن شيئا يُذكر ، مثل أثاث المنزل تقبع في زاوية تنتظر المجهول " [4].

أمّا عن حقوق المرأة العِبرانية في الميراث " فقد اعتُبِرت دون مرتبة أخيها ومكانتها في الحياة الاجتماعيّة ، بحيث ليس في مقدورها أن ترث إذا كان لها إخوة ذكور (...) وأما إذا كان الميراث يؤول إليها في حالة عدم وجود إخوة فقد حال القانون اليهودي بينها وبين الزّوج من سبط آخر " [5].

إضافة إلى هذا أنّ المرأة " إذا حاضت تكون نجسة ، تُنجِّس البيت وكلَّ ما تمسّه من طعام أو إنسان أو حيوان فيكون نجِسا ، وبعضهم يطردها من البيت وربما نصب لها بعضهم خيمة ويضع أمامها الطعام والماء حتى تطهُر " [6].

و بعد مجيء الدّيانة المسيحيّة الجديدة أعاد السيِّد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) للمرأة اعتبارها واستردَّ لها " بعض حقوقها الاجتماعية والاقتصاديّة اعتمادا على

---

[1] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 44.

[2] المرجع نفسه ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 46.

[3] عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

[4] المرجع السّابق ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 46.

[5] المرجع نفسه ، باسمة كيال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 46.

[6] الموقع السّابق ، عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

تعاليم ومبادئ " الدّين الجديد الرّوحية والخُلقية مما دفعها لمواكبة عصرها متسلِّحة بهذه المبادئ السّامية مما رفع عن عاتقها بعض القيود " [1]، وهذا لأنّ واضع هذه القوانين والتشريعات هو الله عزّ وجل ،فقد أنصف الناس وأعطى لكلّ ذي حق حقه . على عكس الحضارات القديمة والشعوب سالفة الذِّكر ، التي قامت بهضم حقوق المرأة ، لأنّ واضع هذه القوانين هم البشر .

وعندما نعود إلى ذلك العهد فإنّنا نجد " أنّ السيِّد المسيح (عليه السلام) كان يُكرِم أمّه ويحسن معاملتها ، وكانت علاقته بها علاقة البرّ والرّحمة ، هذا ما شجّع أتباعه (...) بإعطاء المرأة بصورة عامة بعض حرّياتها المفقودة واحترامها ، ممّا جعلها تتبوّأ المكان اللائق بها كأم وزوجة وابنة " [2].

إلاّ أنّه لم تدم هذه الحالة طويلا ، فبعدما حُرِّفت الدّيانة المسيحيّة حُرِمت المرأة من حقوقها التي وضعتها لها الدّيانة المسيحيّة في عهد المسيح وأصبحت المرأة عُرضة للذلّ والمهانة " ولم تحمها التّعاليم المحرّفة من تعسّف الرّجل وازدرائه " [3].

سُلِبت حقوق المرأة في العصور المُظلمة وعانت من تعسُّف رجال الدّين والحكّام لها ، وأصدرت أوروبا قرارات متعدّدة ضدّ المرأة ، فقد " أصدر البرلمان الإنجليزي في عهد هنري الثاني ملك انجلترا قرارا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب (العهد الجديد) الإنجيل لأنها نجسه " [4].

إضافة إلى هذا فإنّ فرنسا كانت لها نفس الرّدود اتجاه المرأة بحيث " يقول القانون الفرنسي :

---

[1] باسمة كيّال : تطور المرأة عبر التاريخ ، ص 49.

[2] المرجع نفسه ، باسمة كيّال : تطور المرأة عبر التاريخ ، ص 49.

[3] عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

[4] الموقع نفسه ، عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

- ليس للمرأة أن تتصرّف أيَّ تصرُّفٍ في شيء ولو كان من مالها الخاص إلاّ بإذن زوجها .
- ليس لها جنسيّة بعد الزواج إلا جنسيّة زوجها .
- فور الزّواج تفقِد اسم أسرتها لتحمل اسم زوجها " [1].

تخبّطت المرأة في ظلّ هذه المجتمعات القاسيّة وعانت من أحكامها ومن سيطرة رجالها ، حتى أنّه قد " كثر الجدل حول حقيقتها أنّها بشر أم شيطان ؟ (...) وهل تحتوي نفسها على الخير كالرّجل ؟ (...) فضلا عن أنّ الرّجل كان يقودها ويبيعها في السوق ، وهي راضخة قانعة بوضعها مكتفية بإنفاق الرّجل عليها " [2] .

وعقِب هذه الفترات كلها العصر الجاهلي الذي كان مغايرا نوعا ما لهذه المجتمعات من حيث بنيته الاجتماعية عن الحضارات السّابقة .فقد قُسِّم المجتمع العربي في هذه الفترة إلى طبقتين " الأشراف والعبيد " ، وبالتّالي قُسِّمت النّساء هنا إلى طبقتين : الشّريفات وهن القلّة القليلة وطبقة الإيماء " وكانت الإيماء كثيرات ، وكان منهم عاهرات يتخذن الأخدان و قيِّنات يضربن على المزهر وغيره في حوانيت الخمارين ، كما كان منهن جواري يخدمن الشّريفات ، وقد يرعين الإبل والأغنام ، وكنّ في منزلة دانيّة " [3].

كان هذا بالنّسبة للمرأة الأمة ، أمّا المرأة العادية فقد انتُهِكت حرّيتها وسُلِبت ، فلم تكن في عداد الإيماء وتسمى " أمة " ، ولم تكن لها حرّيتها لنقول عنها سيّدة أو شريفة أو حرّة ، فرغم حرّيتها إلاّ أنّها لم تنل منها شيئا ، فقد " كانت أحطّ من أيِّ سلعة فهي لا

---

[1] الموقع السابق ، عبد الرحمن بن إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

[2] الموقع نفسه ، عبد الرحمن بن علي إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم .

[3] لخضر حليتم : صورة المرأة في الأمثال العشبية الجزائرية ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، (2010/2009) ، ص 67.

ترث وليس لها حق المطالبة ، لأنّها لا تذود عن الحمى في الحرب ، وزواجها يرجع إلى وليِّها وليس لها حق الاعتراض ولا المشورة " [1].

إضافة إلى هذا فإنّ المرأة إذا ترمّلت كان للولد حق في أن " يمنع أرملة أبيه من الزّواج حتى تعطيه جميع ما أخذت من ميراث أبيه ، هذا إذا لم يضع ثوبه عليها قائلا : ورثته كما ورثت مال أبي " [2] ؛ لأنّ المرأة في نظرهم تكون ضمن الأشياء المملوكة مثل الأشياء والحيوان وغيرها فتورّث ، وكانت هذه النّظرة متفشيّة في المجتمعات القديمة ومتوارثة بينهم .

وقد ذكَرت " مريم نور الدّين فضل الله " في كتابها " المرأة في ظل الإسلام " : أنّ " من جملة قولهم للعروس عند زفافها ، اذهبي فإنّك تلدين الأعداء ، وتدنين البعداء " [3]؛ وهذا يعني أنّ المرأة في زمن الجاهلية إذا تزّوجت برجل من قبيلة أخرى غير قبيلتها ، فإنّ في نظرهم أنّ أولادها سيُؤثِرون أعمامهم على أخوالهم ، وبالتّالي ستُنجب لهم الأعداء وتُقرّب لهم البعداء ؛ أيْ القبيلة العدو .

أمّا بالنّسبة للمرأة الشّريفة أو سيّدة القبيلة فقد لاقت معاملة حسنة من قبل ذويها وباقي أهل القبيلة ، و " تدلّ دلائل كثيرة على أنّ بنات الأشراف والسّادة كان لهنّ منزلة ساميّة ، فكنّ يخترن أزواجهن ، ويتركنهم إن لم يحسنوا معاملتهن " [4] .

رغم تهميش العرب للمرأة إلاّ أنّهم كانوا يتمتعون بالألفة وحبّهم في الحفاظ على عرضهم وصيانة شرفهم وعدم المساس به ، فكانت المرأة هي مركز هذه الرّوح القوية " وكانوا يُعِدّون المرأة جزءًا لا يتجزأ من عرضهم ولم يكن شيء يثيرهم كسَبيِ نسائهم (...)

---

[1] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، 13.

[2] المرجع نفسه ، مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 13.

[3] المرجع نفسه ، مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 13.

[4] لخضر حليتم : صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 67.

، فكانوا يركبون ورائهن كلّ وعر حتى يلحقوا بهن وينقذوهن ويغسلوا عار سبيهن عنهم وهو عار عندهم ليس فوقه عار " [1]. فكان هذا كلّ ما تملكه المرأة العربيّة في تلك الفترة وتعتّز به ، وهو حماية الرّجل لها ، والدّفاع عنها ، والثأر ممن يقدم على المساس بكرامتها .

وقد وردت رواية تتحدّث عن ثأر العرب من سبي نسائهم حدثت في " قبيلة ربيعة على ما يروى أن قوما من الأعراب أغاروا على قبيلة ربيعة وسبوا بنتا لأمير لهم ، فاستردّها بعد الصّلح ، وبعد أن خيّروها بين أن ترجع لأبيها ، أو أن تبقى عند من هي من الأعداء فاختارت سابيها وآثرته على أبيها ، عند ذلك غضِب وسنّ لقومه قانون الوأد ، ففعلوا غيرة منهم وخوفا من تكرار هذه الحادثة " [2]. فقبيلة ربيعة أول قبيلة من العرب سنّت قانون الوأد من العرب حفاظا على شرفهم ، ومن هنا انتشرت ظاهرة وأد البنات في القبائل العربية الأخرى وتعدّدت أسبابها ولكن النتيجة كانت واحدة وهي قتل البنات .

ولم يقتصر الوأد على البنات فقط في الجاهلية ، بل ويئدون الأطفال الذين بهم عاهات جسديّة فإذا " كان هذا الطفل قد أطلّ إلى العالم بقدميه أولا فهو بشارة نحس وشؤم على أبويه (...) وإذا ولد بذراعٍ واحدة ، أو أحد كفيه يزيد أو ينقص أصبع ، فكل هذه العاهات تؤدي إلى وأد الطفل " [3] ؛ لأنّه في نظرهم أنّ هؤلاء الأطفال غير قادرين على توفير الطعام بسبب شدة الفقر فقد " كانت تنزل بالناس سنين تكون قاسية على أكثرهم ولا سيما على الفقراء فيأكلون (العلهز) وهو الوبر بالدم ، وذلك من شدّة الجوع (...) كلّ هذا حمّلهم على الوأد " [4]، وذلك قوله تعالى ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ

---

[1] المرجع نفسه ، لخضر حليتم : صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 67.

[2] مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، ص 17.

[3] باسمة كيّال: تطور المرأة عبر التاريخ ، ص60.

[4] مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، ص 17.

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[1] ، وردت مجموعة من الأوامر والنّواهي اشتركن كلّهن تحت فعل التّحريم ؛ أي أنّ الله عزّ وجلّ قام بتحريم فعل قتل الأولاد ونهانا عنه خشية الفقر لأنّ الرّزق بيده وحده لا شريك له [2]، لأنّه كانت في الجاهليّة آنذاك بعض القبائل تئِد الإناث " لاعتقادهم أنّ المرأة شخصا غير عامل أو منتج فهي عالة على أهلها ، وبعضهم كان يرى وأد البنات خشية الفقر " [3].

و بعض القبائل التي ترى في وأد غير هذا " فمنهم من كان يئد البنات غيرة على العرض ، ومخافة من لحوق العار ، لأنّهم أهل سطو وغزو ، وكانت تُساق الذّراري مع الغنائم ، ويأخذ السبي فتكون بناتهم عند الأعداء " [4].

وبهذا كانت حياة المرأة في الجاهلية رغم تعايشها مع الشريفات والحرّات مسلوبة الحقوق والحرّيات . وكانت النّساء الشريفات قلّة قليلة لم يستطعن تمثيل نساء عصرهن. بالإضافة إلى معاناتها من نتائج الحروب والغزوات بالسّبي ، وتسليط عليها عقوبة الوأد في المهد من غير جريمة مرتكبة " ولما كان الرّجل بتركيب جسمه الطبيعي وفطرته أقوى من المرأة منح نفسه حق سنّ الأحكام ، عندها صار الحق في الجاهلية إلى جانبه ورفع نفسه عنها في أكثر الأحكام وحرمها ميراثها (...) ومُنح زواج زوجات الآباء (...) لأنهم أحقّ بالزواج منها ، وغير ذلك من سنن الجاهليّة التي كانت توحي إليهم أنّ المرأة دون

---

[1] سورة الأنعام ، الآية ، 151.

[2] ينظر ، جار الله أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 هـ_ 583هـ): الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي ، مكتبة العبيكة ، الرياض ، السعودية ، ج2 ، ط1 ، 1998 ، ص 412.

[3] المرجع السابق ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص62.

[4] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 16.

الرّجل في الحقوق لأنّها خُلقت دون الرّجل في القوّة ، ولم يكن أمامها بالطبع إلاّ الاستسلام " [1] .

كان الرّجل في العصر الجاهلي ، يفضّل المولود الذّكر على البنت ، فبالنّسبة له أنّ الذّكر ليس كالأنثى، فهو القادر على بلوغ الحمى ، والتغلّب على الأعداء وقادرٌ على أن يكسب قوته بنفسه . عكس الأنثى الإنسان الضّعيف الذي كثيرا ما يؤول أمره إلى وليُّه ، فكان الرّجل إذا بُشّر بالأنثى يتوارى عن النّاس من سوء ما بُشّر به .

ولما جاءت الرّسالة المحمديّة حاملة بين يديها كلام الله عزّ وجل قامت بتحريم هذا الفعل ، ولم " يكتفي القرآن من المسلم باجتناب وأد البنات خشية الإملاق أو خشية العار ، لأنّها درجة لا تعدو أن تكون نجاة من ضراوة الوحشيّة لا ترتقي به إلى درجة الإنسان الأمين على حق الحياة ، المؤمن بنصيب كلّ موجود من نعمة العيش و الرعاية به ، بل يأبى القرآن للمسلم أن يتبرّم بذرية البنات ، وأن يلتقي ولادتهن بالعبوس والانقباض" [2] ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ ﴾[3] . وفي مواضع أخرى قال جلّ وعلا :﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ ﴾[4].

---

[1] المرجع نفسه ، مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 14.

[2] عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 56.

[3] سورة النحل ، الآيتين [58-59] .

[4] سورة التكوير : الآيتين [8-09] .

وقال أيضا :﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٤٠ ﴾[1].

ورد في كتاب " الكشّاف " لـ "الزمخشري " أنّ هذه الآية " نزلت في ربيعة ومُضر والسّرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السّبي والفقر وجهلهم بأنّ الله هو رازق أولادهم ، لا هم " [2]، وبهذا فإنّ بمجيء الإسلام مُسِحت كلّ الأعراف والتقاليد الهمجية السّائدة وأعاد للمرأة حقوقها وأبان لها الطريق الذي كان مُظلما بالنسبة لها ، وسنّ لها مجموعة من الواجبات اتجاه غيرها ، ووضع لها الحقوق الطبيعيّة التي حُرمت منها على مرّ التاريخ البشري ، وليس في العصر الجاهلي وحسب ، لأنّ " في الدّين الإسلامي حيوية ومرونة ومسايرة لكل عصر وزمان ، ففي النّظم الإسلاميّة من الحلول ما يكفي لجميع المشكلات التي تعترض حياة الإنسان " [3].

وليس هذا فحسب فالدّين الإسلامي لم يحرم عليها الوأد وحسب وإنّما قام أيضا بـ " منحها حق الأهلية ؛ وتعني الأهلية : الحقوق المدنية من تملّك وتصرّف في الممتلكات ، وإنفاذ العهود ، وحق للميراث ، وحق اختيار الزّوج والإجارة – وهي الكفالة – " [4]؛ وهذا يعني أنّ الشريعة الإسلاميّة قد أباحت لها أن تتصرّف فيما تحكمه من أموال وممتلكات وعقارات بالطريقة التي تراها مناسبة لها ، وأن تختار الزّوج الذي تراه مناسبا لها دون إكراه من ولي أمرها ، " اختيار حرّا (...) وأوجبت على وليّها أن يبدأ بأخذ رأيها عند زواجها ، لأنّ الزواج معاشرة دائمة " [5]. فعن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال : "

---

[1] سورة الأنعام ، الآية [140] .

[2] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف ، ج2 ، ص 404.

[3] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 15.

[4] كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التحرر) ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا ، ط1 ، 2000 ، ص 93

[5] المرجع نفسه ، كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسع قيم التحرر) ، ص 94.

لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَى تُسْتَأْمَرُ وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَى تُسْتَأْذَنُ " ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أَنْ تَسْكُتَ " [1].

إضافة إلى هذا أنّ الدّين الإسلامي قد ساوى بين المرأة والرّجل في العديد من الأمور من أهمها أنهما :

- "متساويان في أنهما من أصل واحد وهو آدم وحواء .
- متساويان في تكاليف الشرعية التي أوجبها سبحانه عليهم .
- متساويان في طلب العلم والتزوّد بالمعرفة النّافعة.
- متساويان في حق التملّك والتصرّف والتّعبير والعمل .
- متساويان في تحمل المسئولية وفي الكرامة الإنسانية " [2].

بقيت المرأة العربية في صدر الإسلام والعصر الأموي محترمة مكرّمة لها مكانة مرموقة في البناء الاجتماعي ، حتى أنّها شاركت إلى جانب شقيقها الرّجل في الفتوحات الإسلاميّة " وشقَّت طريقها بفضل الإسلام وتعاليمه وأنارت طريقها بنور العلم والإيمان ، فأصبحت داعيّة للقرآن راوية للحديث . سابقة إلى الإجادة في ضروب الشّعر، خطيبة تأخذ بأعِّنة النُّفوس ، محافظة على نشاطها الاجتماعي الذي بعثه فيها الدّين الإسلامي العظيم " [3] . وبهذا استطاعت المرأة الأموية أن تُثبت مكانتها في المجتمع في جميع النواحي .

---

[1] أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القيشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، اعتنى به ، محمد بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، مصر ، ج2 ، ط1 ، 2004 ، (1419) ، ص 15.

[2] محمد الغزالي ، محمد سعيد طنطاوي ، أحمد عمر هاشم : المرأة في الإسلام ، مطبوعات أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، (د ط) ، (د ت)، ص 72 ، 73.

[3] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 78.

ومع تغيّر الزّمن تغيّر وضع المرأة الأمويّة آنذاك ، لأنّها ما لبثت إلى أن " لزِمت بيتها في أغلب الأحيان ، واقتصرت مشاركة المرأة في الحياة العامّة على عدد قليل من النّساء المعروفات بالقوّة الشخصيّة المستمدّة من وضعهن الاجتماعي والدّيني ، مثل سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، كذلك ظهرت في التاريخ شخصيات نسائية مقاتلة معارضة مثل غزالة الحرورية والكاهنة في المغرب العربي " [1]، أمّا المرأة العادية فقد لزمت بيتها واهتمت بأهلها وأولادها .

بعد انهيار الدولة الأموية على يد العباسيين ، قام العباسيون بنقل إماراتهم إلى بغداد ، فعرف هؤلاء تطوّرا واسعًا في جميع المجالات وقد كان هذا الزّمن ، زمن " الرّشيد هو العصر الذهبي بالنسبة للعبّاسيين " [2]، لأنّ الخلفاء الرّاشدين آنذاك شجّعوا على العلم والبحث والتّرجمة للرّقي والنّهوض بهذه المملكة الجديدة ، ومنحوا العلماء والأدباء المكانة المرموقة في المجتمع بل حتى أنّها كانت تُقدَّم لهم الهدايا والذّهب إجلالاً للعلم .

وقد انعكس هذا التطوّر على المرأة بالإيجاب " في عهد العبّاسيين وخاصة في عصورهم الذهبية حيث نالت الحرائر نصيبهن الوافر من العلم والأدب " [3]، وعادت المرأة في هذا العصر لتهتم بالبحث عن العلوم والمعارف واهتمت بشكل واسع بالأدب شعراً ونثراً .

اشتهرت الدّولة العباسيّة بسوق النّخاسة وتجارة العبيد والجواري ، وكان لهذه الأخيرة الحظ الأوفر في السّوق بسبب اهتمام القادة والملوك بهن فملئن بلاط الملك ، وأصبحت المرأة الجارية " ذات حضور أساسي ، وطاغٍ ولا سيما إذا لم تكن امرأة جاهلة ،

---

[1] ركان الصّفدي : الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري ، منشورات الهيئة العامة ، السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، (د ط) ، 2011 ، ص 94.

[2] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 95.

[3] المرجع نفسه ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 96.

فقد كان النّخاسون يجتهدون في تعليمها وتثقيفها لإغلاء ثمنها " [1]، لأنّهن سيكنّ جنبا إلى جنب مع الملك لذلك وجب أن تكون مثقّفة ومتعلّمة .

وقد نالت المرأة الجاريّة أو القانيّة " الاهتمام بها في عصور التّرف والبذخ الذي تنتهي إليه الحضارات الكبرى ، وهي لا تنال هذا الحظ من الاهتمام لتقدّم الحضارة وارتقاء الشعور بين أصحاب تلك الحضارات ، ولكنها تناله لأنّها في عصور الترف والبذخ ، مطلب من مطالب المُتعة " [2] ؛ وهذا يعني أنّ المرأة الجاريّة نالت الاهتمام ليس لأنّها امرأة ، بل لأنّها جارية و نحن في عصر الترف والبذخ .

وقد أدى الاهتمام بالجواري والقِيَان في هذه الفترة إلى تهميش المرأة العادية أو الماكثة في البيت " فلو استثنينا الجواري والمغنيّات وبعض الشخصيّات النسويّة المعروفة (...) لما وجدنا للمرأة – الحرّة – حضورا قويا في المجتمع (...) ؛ لأنّ مشاركتها في الحياة محدودة ، فمن العجيب أن تعيش المرأة الحرّة في القيود الاجتماعية في الوقت الذي تزال فيه الحدود والقيود أمام المرأة العبدة " ![3].

بقيت الجارية تمثّل المكانة المرموقة في المجتمع ، بسبب ما حظيت به من تعليم وتثقيف ونالت بهذا المراكز العليا في نظام الدّولة ، حتى أنّنا نجد أنّ بعض الجواري قد أصبحن يُسيّرن الدّولة ، بسبب فطنتهن ودهائهن وإلمامهن بتاريخ الحضارات السّابقة ، والفكر والأدب وغيرها من العلوم . ومثال ذلك نجد شجرة الدّر التي بدهائها وفطنتها استطاعت أن تكون ملكة على عرش مصر .

---

[1] ركان الصّفدي : الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري ، ص 94.

[2] عباس محمود العقّاد : المرأة في القرآن ، ص 49.

[3] ركان الصفدي : الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري ، ص 317.

2. المرأة في العصر الحديث :

كانت المرأة في العالم لا تزال قابعة بمنزلها متحفّظة وملتزِمة بعاداتها وتقاليدها ، مهتمة بزوجها وبشئونه العامة منها و الخاصة ، إلى غاية نُشوب الحرب العالمية الأولى

التي اشتعلت معها تيارات جديدة تدعوا إلى تحرير المرأة من أسر خدرها ، مطالبةً بمنح المرأة الحرّية الكاملة في جميع المجالات ومشاركتها للرّجل في كلّ أعماله ، وحقّها في المساواة بينها وبين شقيقها الرّجل باعتبار أنّ هذا حق من حقوقها الطبيعية .

وقد ظهرت هذه التيارات أوّل الأمر في مصر حينما قامت المرأة بالمشاركة " في ثورة (1919م) ومؤازرة سعد زغلول للحركة النسائية ، وكانت المشاركة الفعلية بمظاهرة يوم (20 مارس سنة 1919 م) ، وكانت هذه المشاركة في ذلك اليوم بمثابة جواز المرور الذي تجاوزت به المرأة الحائط القديم الذي قبعت فيه طويلا " [1]، فقد كانت هذه التظاهرة المحفّز الأول الذي جعل المرأة تخرج من منزلها دون مانع يمنعها أو عُرفٍ يردعها .

ولم يمضي طويلا حتى انتهت الحرب العالمية الأولى و " خرجت الفتاة المسلمة لتؤلف الجمعيات وتنشِئ النّوادي ، وتُقيم المعارض ، وتصدّر المجلات وتشارك إدارة المؤسّسات الثقافيّة والاجتماعيّة والتعليميّة " [2]، فاكتسبت من العلم ما يؤهلها أن تحصل " على أعلى درجات حيث أصبح منهن المحاميات ، الطبيبات ، والمهندسات ، والمربيات ، والخبيرات ، في كافة الشؤون الاجتماعيّة " [3].

وبهذا ازداد طموح المرأة نحو تحقيق أحلامها وحياة كاملة الرّفاهية فحاولت " جاهدة التوصّل إلى حياة أفضل ، وتكافح من أجل تحقيق المساواة في الفرص مع الرجل كي تستمع بكامل الحياة ، وتسعى إلى حق تقرير أمورها دون وصاية "[4] ،

---

[1] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ج1 ، ط10 ، 1427هـ – 2006م ، ص 78.

[2] المرجع نفسه ، محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسّفور) ، ج1 ، ص 200.

[3] كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التحرّر) ، ص 98.

[4] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1، ص 218.

فخرجت المرأة تطالب وتعلن عن حقوقها الضائعة منذ قرون والتي تمّ السكوت عنها وتجاهلها .

لكن العالم العربي كان أكثر تحفّظا فظهر تيّارين بين مؤيِّد ومعارض ، و" بين هذا وذاك ؛ أيِّ بين الانبهار والعجب بما لدى الغرب من انفتاح وتحضّر وتقدّم (...) وبين ما لدى المشرق من قيم وأعراف وتقاليد (...) لم يجرؤ تفكيرهم على تصوّر التّخلي عنها تماما أو استبدالها كلية (...) " [1]. فكان التّيار الأول يرى أن تقدّم العالم الغربي بسبب إعطاءه للمرأة الحرّية المطلقة ومشاركتها للرّجل في الميدان السّياسي والاقتصادي ، أمّا الرأي الذي تعصّب لرؤاه فمن اعتقاده أنّ الإسلام قد منح المرأة جميع حقوقها فلم عليها المطالبة ؟.

فكان للحكّام دورهم في تقرير مصير المرأة ، فكانت مصر أول دولة عربيّة مَنَحت المرأة جميع مطالبها " فوضع عبد الناصر وزبانيته كتاب (الميثاق) (...) ليصدّ به الناس عن القرآن ، وكان مما جاء بصدد المرأة في (الميثاق) : « أنّ المرأة تساوي الرّجل ولا بدّ أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرّة حتى تستطيع أن تشارك الرّجل بعمق وايجابية في منح الحياة » " [2].

وبالتالي يعدّ " عبد الناصر " أول من منح للمرأة حرّيتها التي أملت من خلالها أن تكون إلى جانب الرّجل في عمله ، وتحقق ذاتها بالطريقة التي تناسبها إلاّ أنّ نظرة عبد الناصر لم تكن هكذا رغم أنّه كان قادرا " أن يبرّر للشعب أهميّة مساواة المرأة بالرّجل في كلّ المجالات ، في الإنتاج وفي التدريب العسكري ، وغير ذلك لأنّ الوطن يحتاج إلى

---

[1] محمد يوسف سواعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر أنموذجا) ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص 35.

[2] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (المرأة بين تكريم الإسلام و إهانة الجاهلية) ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ، السعودية ، ج2 ، ط10 ، 2006 م _ 1427 هـ ، ص 78.

تضافر الجنسين معا نساءً ورجالاً ، ومن ثمَّ فقد نادى في جلسات المؤتمر الوطني للقوى الشعبيّة في شرح (الميثاق): « بوجوب عمل المرأة لأنّ في عملها يمكنها أن تُحافظ على نفسها من الانحراف إذا كانت غير متزوجة » ! وفي المؤتمر نفسه أبدى عزمه على تعيين المرأة في كلِّ الأعمال ابتداءً من الأعمال اليدويّة حتى الوزارة " [1].

فكان هذا القرار قوَّة ضاغطة على الشّعب لأنّه كان قرارا دستوريا وما على الشعب سوى الخضوع له " فاقتنع جزئيا بحقها في الخروج إلى العمل وإلى مرافق الحياة العامّة كالمشاركة في صُنع الحياة ، وإدارة دفّة التّعايش والتّفاعل الإنساني " [2] .

ولكن دُعاة السفور والضلالة راحوا " يحرّضون المرأة على أن لا يقتصر دورها على إنجاب الأبناء الذين يحملون عادة اسم الأب ، وأن لا يقتصر أيضا على العمل المنزلي (...) ، و أيضا الإشباع الجنسي و العاطفي للرّجل ، وهذا الدّور الأخير بالذّات يناط بها من خلال عقد الزواج المكرّس في قوانين واضحة وهو ما يجب أن ترفضه " [3].

ومن هذا فإنّ حرّية المرأة لا تقتصر على خروجها من المنزل فقط متى أرادت أو مطالبتها بالعمل وإنّما كذلك حرِّيتها في الإنجاب كذلك حرِّيتها في ممارسة الجنس متى أرادت وأن يكون خارجا عن دائرة الزّواج ، لأنّ هذا يعتبر في نظرهم كبت لحرية المرأة .

ولكن الشّعب العربي " لم يقتنع أبدًا بقضية المساواة المطلقة ، والحريّة المطلقة والسفور ، وإلغاء الحدود والضوابط ذات الارتباط الدّيني والبعد العقدي المتين " [4]، فهو لا يخالف الطبيعة البشرية وحسب وإنّما يخالف التّعاليم التي شرعها الله وبنى عليها الحياة منذ بدايتها .

---

[1] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1 ، ص 78.

[2] محمد يوسف سواعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة ، (مصر أنموذجا) ، ص 39.

[3] المرجع السابق ، محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1 ، ص 79.

[4] محمد يوسف سواعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة ، (مصر أنموذجا) ، ص 39.

فالله قد جعل للرِّجال على النّساء درجة لقوله عزّ وجل :﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨ ﴾[1] ؛ وقد فسّر الزّمخشري هذه الآية بقوله : أنّه " يجب لهن من الحق ما يجب على الرّجال مثل الذي يجب لهم عليهن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فلا يكلّفنهم ما ليس لهن ولا يكلّفوهن ما ليس لهم ولا يعنّف أحد الزّوجين صاحبه ، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ، ولكن يقابله بما يليق بالرّجال ﴿دَرَجَةٌ﴾ زيادة في الحق والفضيلة " [2]، فقد منح الله عزّ وجل الإنسان الدّور الذي يناسب فطرته وينفرد به عن الآخر ويتميز فيه عنه ، فالرّجل لا يمكنه أن يقوم بأمور البيت لأن هذا لا يناسب فطرته فكيف للمرأة أن تقوم بأعمال الرّجال التي لا تقوى بنيتها الجسمية على القيام بها ، لهذا فمن حق المرأة الطبيعي " القوامة بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة ، وإلاّ لامتنع الفضل " [3] ، فالله عزّ وجل رفع عن المرأة واجب الإنفاق على الزوج.

ومع ذلك ظلّ المؤيِّدين للسّفور يعارضون فطرة الإنسان و لم يكتفوا بتصدِّي الشّعب لهم فجعلوا من أقلامهم أسلحةً لهم تدعوا إلى الفواحش ، مدَّعين أنّ هدفهم هو إصلاح الوطن العربي وبعثِه من جديد وجعلِه يواكب الغرب في تطوُّره وتقدُّمه ونجد في مقدّمة هؤلاء :

---

[1] سورة البقرة ، الآية [228] .

[2] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف ، ج1 ، ص 442.

[3] عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، ص 5.

***رفاعة الطهطاوي (1801م –1873)** : لقد كان لفرنسا التأثير الكبير في بناء فكره السّياسي والاجتماعي بحيث دافع في كتابه " تخليص الإبريز " 1834م ، عن الاختلاط بين النّساء والرّجال في المجتمع الفرنسي منكِرًا أن يكون سببًا في الفساد ، و أُعجِب بالمرأة الفرنسيّة التي تمشي سافرة متبرّجة بالزّينة ، و دعا أيضاً إلى المساواة بين الرّجل والمرأة لأنّ المرأة مثل الرّجل سواء بسواء وحاجتها كحاجته وصفاتها كصفاته ، والفارق يكمن في الأنوثة والذكورة فقط [1].

***قاسم أمين (1863–1908)**: من المفكّرين المصريين له كتابان " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " وفي كلا الكتابين يدعو المرأة إلى المطالبة بحرّيتها والتخلّص من سجنيها (البيت والأمية) وأن تواكب المرأة الغربيّة في تقدّمها ورقيّها ، وانشغالاتها إلى جانب الرّجل في جميع المجالات ، ودعا إلى السفور لأنّ الحجاب في نظره : " مناف للحريّة الإنسانية وأنّه ضارٌ للمرأة (...) ويجعلها في حكم القاصر ولا تستطيع أن تباشر عملها " [2]. وعالج مسألة " تعدّد الزّوجات والطّلاق وهو يذهب في كلٍّ مسألة من هذه المسائل ما يطابق مذهب الغربيين " [3]، ولم يلبث أن " هاجمه بعض رجال الأزهر ، وبالمقابل لقي التأييد من بعض المستترين ، من أمثال سعد زغلول ومحمد عبده " [4].

***نجيب محفوظ (1911م –2006م)**: " قد اتّضح في آثاره ظاهرتان خطيرتان : أولهما : إشاعة الفاحشة وتبريرها ، وثانيهما : الإلحاد ، ولهذا يوليه الماركسيون اهتماما خاصاً ، وقد استخدموه في دعوتهم الإباحية إلى المفاهيم الهدّامة للأسرة والفتاة وعمل

---

[1] يُنظر ، محمد يوسف سواعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر أنموذجا) ، ص 17 ،18 ، 19.

[2] المرجع نفسه ، محمد يوسف سواعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة (مصر أنموذجا) ، ص 27.

[3] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1 ، ص 44 .

[4] صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، قسم الأدب العربي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ط2 ، 2009 ، ص 15.

المرأة وعلاقتها بالرّجل " [1]. فقد ركّز " نجيب محفوظ " في أعماله الأدبيّة على تصوير آفة البغاء وانتشارها في مصر والسُّبل التي لا تردع لفعل ذلك ، لذلك اهتم به الماركسيون لأنه يهتم بتصوير الواقع ونشر الأفكار المفكّكة للعقيدة الإسلامية .

***نوال السّعداوي (1931م)** :دعت " نوال السّعداوي " في كتابها : " المرأة والدّين والأخلاق " إلى تحرير المرأة ، لأنّ المرأة نصف المجتمع ومواطنة مثلها مثل الرّجل فحقوقها من حقوقه ، و " أنّ تحرير النّساء لا ينفصل عن تحرير الوطن ، لأنّهن نصف هذا الوطن ولا يمكن تحرير الوطن دون تحرير النّساء " [2].

وقد دافعت النّساء اللّواتي طالبن بحقوقهن وحريتهن لأنّ هذه الدعوة ليست دعوة غربية سافرة ، و إنّما هي ثورة ضدّ الظُّلم والاستبداد من القديم ففي نظرها : " أنّ الثورات الشّعبية في تلك الأزمنة كانت تقودها النّساء والعبيد من الرّجال ، وهذا أمر بديهي ، لأنّ البشر جميعا نساءً ورجالاً يثورون ضدَّ النُّظم الظَّالمة أينما كانت " [3]. فالمرأة في نظرها ستظلّ تكافح ضدّ هذه النّظم لأنّها جعلت من المرأة الحرّة بمنزلة العبد وانتَهَكت هذه النّظم جميع حقوقها .

ولم تكتف " نوال السعداوي " بهذا وإنّما دعت المرأة إلى السفور والتخلّي عن الحدود التي وضعها الدّين الحنيف ، وقامت بوصفه بالحظيرة لأن تعاليمه مجرّد أفكاره رجعية – في نظرها – و قد حذَّرت المرأة من الدِّعايات الواهيّة التي ترى بأنّ طبيعة المرأة الجسديّة أضعف من طبيعة الرّجل ، وبهذا فهي لا تقوى على عمل الرّجال ، تقول : " ظهرت دراسات تحت اسم علم الاجتماع أو علم النّفس تُثبت فشل المرأة في الحياة

---

[1] محمد أحمد إسماعيل : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1 ، ص 144.

[2] نوال السعداوي ، هبة رؤوف عزت : المرأة والدّين والأخلاق ، مطبعة سيكو ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000 ، ص 71.

[3] المرجع السابق ، نوال السعداوي ، هبة رؤوف عزت : المرأة والدين و الأخلاق ، ص 68.

العامّة أو ضرورة عودتهن إلى حظيرة الأمومة والدّين والأخلاق" [1]، وبهذا فإنّ دعوة " نوال السعداوي " إلى التحرُّر يعتبر سبيل من سبل تقدُّم الأمّة العربية وأنّ الدّين والعادات والتقاليد ما هي إلاّ أفكار رجعية يجب التّخلي عنها .

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء فحسب ، الذين نادوا بالسفور والتحرّر وتقليد الحياة الغربية بل نجد إلى جانب هؤلاء : سعد زغلول ، محمد عبده ، لطفي السيّد، الأميرة نازلي فاضل ، هدى الشّعراوي ، نزار قباني ، الذين لم تتوقف أقلامهم على نشر دعوتهم في تحرير المرأة وفكّها من عزلة خدرها ونزع أغلال العادات والتقاليد عنها وتأثّر بكتاباتهم المشرق العربي أيّما تأثّر ، " حتى بلغوا بهذه المرونة حدّ الميوعة ، وانعدام الذّات والمقوّمات تلك الميوعة التي تجعلها صالحة لأنْ تكون ذيلاً لأيِّ نظام وتبعا للأهواء وبذلك ينتهون إلى إلغاء وظيفة الدّين ، لأنّهم بدلاً من تقويم عوج الحياة بنصوص الشّريعة يحتالون على نصوص الشّريعة حتى يبرّرو بها عوج الحياة المعاصرة " [2].

***الصحافة :** عملت الصحافة هي الأخرى على الترويج لبعض الأفكار الفاسدة التي لا صحة لها ، من أجل إيهام المرأة بصلاحية مطالبتها بحرّيتها ، محاكية بذلك عادات الغرب وسبل عيشهم ، متّخذة من المرأة الأوروبيّة أو الأمريكيّة المثال الأعلى لها، فكان عمل الصّحافة يتركّز حول مجموعة من النّقاط منها :

- " في مجال الدعوة إلى حرّيتها الزائفة .
- إشاعة جو من التبرج الصّارخ ، والتمرّد على الفطرة .

---

[1] المرجع نفسه ، نوال السعداوي ، هبة رؤوف عزت : المرأة و الدين والأخلاق ، ص 99.

[2] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسّفور) ، ج1 ، ص 18.

- تعمل الصّحافة جاهدة لتحقيق هدف خطير ألا وهو : دمج الرّجولة في الأنوثة [...] ، معارضة لحكم الإسلام في حتمية الفصل الدّقيق والعميق بين الرّجل والمرأة .
- دعوة المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل ، تحمل في طيّاتها خطرًا شديدًا ، فإنّ انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة "[1].

وغيرها من التمويهات والتبشيرات الزّائفة حول مستقبل مشرق لامرأة حرّة دون قيود ، فبئس ما دعوا إليه ، وتحريضهم لها على السّفور " وحبّ الفاحشة والسّطو على الأعراض ، وهتك الحرمات وبرعوا في المكر والخداع ، وإثارة الغرائز والشهوات وقد نجحوا في حملتهم الماكرة " [2] . لكنّ الله توعّد هؤلاء في كتابه العزيز بعذاب أليم في الدّنيا والآخرة بقوله :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [3] .

ومع كلّ هذه الأحداث والمجريات التّعسفيّة في حقّ الدّين الإسلامي والمسلمين بعامة والمرأة المسلمة بخاصّة ، ورغم الحقوق الطبيعيّة التي شرّعها الله وسطّرها في كتابه العزيز، بقيت " المرأة العصريّة غير عادلة بحق نفسها إذا طلبت التساوي بالرّجل في الأعمال ، والأفضل لها أن تطلب لنفسها فرصا متساويّة مع الرّجل ، كي تعمل ما تشعر بأنّه يرضي ذاتها ويحقّق طبيعتها وخلقتها من أن تحاول عمل ما يقوم به الرّجل " [4].

---

[1] المرجع نفسه ، محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب ومعركة الحجاب والسفور ، ج1 ، ص 138. .

[2] محمد علي مقبول : مكانة المرأة في ظل الحضارات القديمة والحديثة ، شبكة الألوكة www.alakah.net 2017/01/24 ، 17:59.

[3] سورة النور : الآية [19] .

[4] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 201.

وإذا ما لاحظنا تاريخ الجزائر بعامّة والمرأة الجزائريّة بخاصّة ، وجدنا أنّ المرأة الجزائريّة بوجه عام في هذه الفترة كانت مُنشغلة إلى جانب شقيقها الرّجل من أجل تحرير وطنها ، فحرّية المرأة بالنّسبة لها جزء لا يتجزّأ من حرّية الوطن ، فهي رغم اختلاطها مع الأوروبيات لأكثر من قرن ، إلاّ أنّها لم تتبنى أفكارهن ولم ترتدي ملابسهن ولم ترْتَد أنديتهن ولم تتبرّج تبرُّجهن ولم تتكلّم لغتهن . " فرغم ما خاضته من معارك طاحنة لتحرير بلادها بعيدة عن التقدّم العلمي ، حيث نبغ من النّساء الجزائريات طبيبات ومهندسات وعالمات ومحاميات وأدبيات ساهمن في نشاط كافة الحقول التي تمّ على أساسها بناء المجتمع الجزائري الجديد بعد الاستقلال " [1].

لقد اعتُرف لها بما قدّمته من نضال وتضحية في سبيل تحرير وطنها ومساهمتها في الكثير من الثّورات والمقاومات الشّعبية " فقد جاء في مؤتمر الصّومام إشادة واضحة لفاعلية المرأة الجزائريّة في ثورة نوفمبر بقولهم : وإنّنا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الباهر الذي نضربه في الشّجاعة الثوريّة الفتيات والنّساء والزّوجات والأمّهات (...) اللائي شاركن بنشاط كبير وبالسّلاح أحيانا ، في الكفاح المقدّس في سبيل تحرير الوطن" [2].

ولم تقتصر أعمال المرأة الجزائرية على هذا الجانب فحسب " فبعد الاستقلال لاحظنا أنّ كافة المفاهيم التطوّرية الحديثة التي جسّدتها المرأة الجزائريّة في ثورتها تنطبق على ما يقوم به من أعمال خيّرة معطاة للاتحاد الإنساني الجزائري " [3]، وبهذا أصبحت المرأة الجزائرية يشار إليها بالبنان كونها تُمثِّل المرأة النّموذج في العطاء والكفاح والنِّضال والمحافظة على قيمها وتعاليم دينها ، فهذا لم يمنعها أن تحتل مكانة عالية في المجتمع

---

[1] المرجع نفسه ، باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 224.

[2] مختار سويلم : دور المرأة الشعابنية في الثورة التحريرية ، نواصر عائشة (الحسناء الأخرى الشعابنية – أنموذجا –) ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، غرداية ، المجلد 7 ، العدد 2 ، 10/01/2014 ، ص 06.)

[3] باسمة كيّال : تطوّر المرأة عبر التاريخ ، ص 224.

ونيلها الأعمال الوظيفية إلى جانب الرّجل فكانت منهن المبدعة والمثقّفة والطبيبة والمعلّمة والأهم من هذا المرأة الأم والزّوجة الصالحة .

إلاّ أنّ دعاة الفوضى والانحلال الأخلاقي كانوا ينشرون دعوتهم السافرة في كلّ ربوع الوطن العربي أو بالأحرى العالم الإسلامي ، فكان من بين هؤلاء " أحمد بنبلة " في الجزائر حينما دعا المرأة الجزائرية إلى التحرّر ومطالبتها بخلع حجاب العفة ،وذلك " بحجّة عجيبة حين قال : إنّ المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي لأنّ فرنسا هي التي كانت تدعوها إلى ذلك ، أمّا اليوم فإنّي أُطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر " ! [1].

ناهيك عن بعض الأقلام الأدبية التي راحت تؤلّف الكتب لنشر دعوتها السافرة ، ويبدو أنّهم كانوا يحلّلون الوضع الجزائري بمنظور غربي وثقافة فرنسية،يعتقدون أنّ التربية التقليدية تعوق التطوّر الحضاري من بينهم "زينب الأعوج " و" واسيني الأعرج" .[2]

لكن كانت المرأة الجزائرية بشجاعتها ونضالها سواء من أجل وطنها أو كفاحها حفاظا على أسرتها لم ترضخ لأيّ مطلب من المطالب الخادعة أمّا نظيرتها في العالم العربي ظنّت أنّ السفور وجها من أوجه التّقدم .والتحضّر وأنّه الطرف الثاني من حرّيتها الشخصيّة المدّعاة ، فالدّول الأوروبيّة و الأمريكيّة اليوم تعاني من " كثرة اللّقطاء حتى صاروا يعدّون بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف ، وفي بعض أقطار هذه الدّول ظهرت فيهم العلل والأمراض التي لم تكن في أسلافهم حتى ضجّ بعض كُتّابهم من هذا المصير " [3].

---

[1] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، ج1 ، ص 216.

[2] يُنظر ، صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 22 .

[3] محمد علي مقبول : مكانة المرأة في ظلّ الحضارات القديمة والحديثة ، شبكة الألوكة .

ويتّضح مما تقدّم أنّ الإسلام قد كرّم المرأة وتبوّأ لها المكانة الرّفيعة ، المكانة التي لم تمنحها إيّاها الحضارات القديمة ولا الدّساتير الجديدة ، لقوله عزّ وجل :﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾[1].

[1] سورة الإسراء ، [70] .

الفصل الأول :

صورة المرأة وأهم أدوارها في المجموعة القصصية " سرّ البيت المفتوح " :

1. دراسة تحليليّة للمجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " للقاص " سعدي صبّاح " .
2. أهم أدوار المرأة في المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " :

- المرأة المتعلّمة .
- المرأة العاملة .
- المرأة الأم .
- المرأة الزوجة .
- المرأة والبغاء .

1. دراسة تحليلية للمجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " لـ : " سعدي صبّاح " :

من خلال العناوين الفرعيّة ومتن المجموعة القصصيّة نجد أنّ محوَر القصّة يدور حول المرأة ، ولكن السّؤال المطروح : لما جعل الكاتب للبيت المفتوحِ سرًّا ؟ فبما أنّه مفتوح فهذا يعني أنّه قد تمّ الكشف والإبَانة عنه ، إلاّ أنّه بالخوض في غمار الأحداث القصصيّة نجد أنّ السرّ يكمن عند المؤلف ذاته ، فكثيرًا ما نجد أنّ للمؤلف دورًا داخل العمل الإبداعي . وكأنّه شاهد عيان على حادثة ما ، أو أنّه يسرد لنا يوما من يومياته و عن الحياة الصّحراوية و البداوة .

وإذا اعتبرنا المؤلّف ذات فاعلة في الفضاء القصصي ، فما السرّ الذي يحمله " سعدي صبّاح " ؟ أو ما هو الشّيء الذي أراد أن يكشِفه من خلال فعل الكتابة ؟ السرّ هنا يكمن في (البيت) ، وسرّ كلّ بيت هو المرأة ، فالله عزّ وجل كرّمها بهذا المكان ، فهي المسؤولة عنه بالفطرة ، ودليل ذلك قوله (عليه الصّلاة والسّلام) : " أَلاَ كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسْؤُولٍ عَن رَعِيَتِهِ [...] وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْؤُولٍ عَنْهم ، وَالمَرْأَةُ مَسْؤُولَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُم " [1].

عادة ما يكون بيت المرأة مغلقًا ! ولكن المؤلف جعله مفتوحًا ، نعم لأنّ بيت المرأة الطّاهرة العفيفة الصّالحة عادة ما يكون مغلقًا ، وإن كان عكس ذلك فإنّه سيكون العكس تمامًا بالنسبة لها .

[1] أبي الحسن مسلم : صحيح مسلم ، ج2 ، (1829) ، ص 280.

إذن " فسعدي صبّاح " هنا يكشف عن الظّروف المختلفة التي جعلت المرأة تفتح باب منزلها وتجعلُ منه مكانا لممارسة طقوس الرّذيلة ، وذلك إمّا في منزلها أو في بيت الدّعارة الذي هو فعلاً بيت مفتوح في كلّ زمان ومكان .

ومن خلال هذه الدّراسة التّحليليّة والملخّصات التّالية للمجموعة القصصّية – نماذج مختارة – والدّراسة التطبيقية التي توضّح صورة المرأة ، والنّماذج النّسويّة التي وظّفها القاص في العمل الأدبي ، نستشّف رؤية " سعدي صبّاح " لحياة البداوة وللمرأة أيضا والسّر الذي يكشفه من خلالهما .

2.أهم أدوار المرأة في المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " :

أ. المرأة المتعلّمة :

لم يجعل الله سبحانه وتعالى العلم حكرًا على الرّجال دون النِّساء مثلما ادّعى بعضهم وقالوا عن الدّين الإسلامي الأقاويل الباطلة ، بحيث أنّ أوّل آية نزلت من القرآن الكريم هي ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[1] ؛ فالآية الكريمة جمعت بين الذَّكر والأنثى في طلب العلم ، " ولم يحرم المرأة من هذا المورد العذب الذي ينعش الروح ويهذب النفس (...) ويجعلها في المستوى الذي يحمد عقباه " [2].

إنّ المرأة هي نصف المجتمع بل وأكثر من ذلك فهي منشأة المجتمع ومربيته فعِلمُ المرأة ينعكس على تربيتها لأطفالها ، لهذا حثّ الإسلام على خروج المرأة لطلب العلم " فإذا كان العلم الذي تطلبه المرأة مفروضا عليها وجب على الزّوج أن يعلّمها إيّاه ، فإذا لم يفعل وجب عليها أن تخرج حيث العلماء ومجالس العلم ، لتتعلّم أحكام دينها " [3] ، يقول الله عز وجل :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[4].

فالعِلم بأحكام الدّين يجعل المرأة قادرة على مسايرة الحياة بمدّها وجزرها ، وحلّ كافة العقد التي تطرأ عليها ، لذلك وجب على الزّوج أو وليُّ المرأة أن يمنحها فرصة لطلب العلم، لأنّ " الفتاة تسمو بعلمها وأدبها وإن كان ملبسها بسيطا "[5] ، فالسّفور والتبرّج ليس معيارًا

---

[1] سورة العلق ، الآيات [1-2-3-4-5] .

[2] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 86.

[3] السّيد سابق : فقه السّنة ، المكتبة العربيّة ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، 2001 ، ص 345.

[4] سورة التحريم ، الآية [06] .

[5] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 86.

للثّقافة كما يظن بعضهم ، يقول تعالى :﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[1].

إلاّ أنّه في بداية القرن العشرين تعالت الأصوات في الوطن العربي تنادي بتعليم المرأة ، وإخراجها من ظُلمات الجهل إلى نور العلم ، علمًا أنّه لم يرِد نصّا لا في القرآن الكريم ، ولا في سنّة نبيّنا الكريم (عليه الصّلاة والسّلام) ترفض تعليم المرأة أو أنّه حكرا على الرّجال دون النّساء ، لأنّ المرأة هي المسؤولة بالدّرجة الأولى على تنشئة جيل المستقبل، فإن كانت المرأة متعلّمة فإنّ الجيل الذي ستنشئه يكون أكثر انفتاحًا و وعيًا من الجيل الذي تعدّه امرأة جاهلة الذي لا يمكنه أن يميّز بين الخطأ والصّواب ويكون أكثر انغلاقا وعزلة عن العالم ، إضافة إلى أنّ المرأة بتعليمها تكسب وظيفة عمل عكس المرأة الجاهلة.

لقد طرح " سعدي صبّاح " هذه القضيّة في مجموعته القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " من خلال مجموعة من النّماذج النّسويّة ، فكانت منهن المتعلّمة والتي وُفِّقت في حياتها وكانت منهن الأميّة التي آلت حياتها إلى البِغاء أو الشّعوذة أو المكوث في البيت مثلها مثل أيّ امرأة أخرى غير متعلّمة .

ففي قصّة " زوجتي الخشيبة " نجد أنّ الشّخصيّة البطلة كانت امرأة متعلّمة ومن خلال تعليمها حظيت بفرصة العمل كمدرّسة في إحدى المدارس الابتدائية .

أمّا في قصّة " أطلال منّاعة " نجد أنّ الفتاة أصبحت أكثر وعيًا ونضجًا حينما تلقّت التّعليم ، فبعدما كانت تَتنقَّل مع والدتها من قرية لأخرى ، كبُرت وقرعت أبواب الجامعة

[1] سورة الزمر ، الآية [09] .

وأصبحت فتاة ذكيّة جدّا و فطِنة " متمكِّنة في البلاغة وفي النّحو والعروض إلى جانب علم الكلام ! " [1].

وحظِيت بفرصة العمل ، ففي نظره أنّ المرأة المتعلِّمة يكون مستقبلها أكثر إشراقًا لذلك حثّ من خلال مجموعته على تعليم المرأة ، و أنّ نتيجة تعليمها هو ضمان لها حياة عمليّة ناجحة . على عكس المرأة الأميّة بحيث نجد أنّها قد تواردت بين ثنايا المجموعة القصصيّة، فكانت منهن المرأة الماكثة بالبيت ترعى الأغنام والإبل وتقوم بمشقّات العمل المنزلي و المشعوذة ، وكذلك المرأة البغيّ التي حاولت البحث عن سُبل العمل بطريقة سهلة لا يكلّفها في ذلك شهادة تعليم أو تكوين مهني .

وفي قصّة " على شفيرِ الهاوية " أمر والد الكاتب " لؤلؤة " أن " تُعِدّ المِخلاة للفَرس وتُحضِّر المعالف وتُوقد الفوانيس بأرجاء المنزل " [2] ، فكانت الفتاة البدوية تعيش حياة ضنكة نصيبها في الحياة أن تقوم بكلّ الأعمال المنزلية الشّاقة ، لأنّها لم تحظ بفرصة التّعليم حتى يرتقي بها المجتمع.

وكذلك في قصّة " حين سقطت قمر ...! " نجد أنّ " قمر " امرأة بدويّة لم تتلقّى التّعليم حينما كانت صغيرة بل كانت حياتها مثل أيّ امرأة بدويّة تقوم على الحلّ و التّرحال ، إضافة إلى " رعي الماعز وإعداد المعالف عند المغيب وتحضير الشوفان وتجلب الحطب وقربة الماء والجرّار من المناهل " [3] .

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 90 .

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 36.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 43.

أ. **المرأة العاملة :**

إنّ كلّ فتاة بعد أن تحصل على نصيبها من العلم تصبو أن تكون لها وظيفة أو منصب تعمل فيه ، ويكون لها دورًا إيجابيا في المجتمع تُحمد عليه ، وتثبت كفاءتها وجدارتها ، وككلّ المسائل التي تخصّ المرأة تعرّضت هذه المسألة لرأيين متصارعين الأول يرى بخروج المرأة من عزلتها وعملها والثاني كان أكثر تحفّظا، وبالطّبع كان لكلّ منهما حججه التي يرى بأنّها أدلّة كافية إمّا لخروجها من خدرها أو بقائها فيه ، فالأول يرى أنّ " خروج المرأة يؤدي إلى إرهاقها ويُجبِرها على القيام بدورين في آن واحد مما يؤدّي إلى إرهاقها جسديًا ، وتفكُّك أسرتها ، وبالتّالي يؤثِّر على استقرار المجتمع وتفكّكه " [1] .

لأنّ المرأة هي أساس العائلة والرّكن الرئيس فيه فإذا غاب هذا العنصر الأساسي سيضيع النشء فالرّسول (صلى الله عليه وسلم) قد منح كلّ منّا وظيفته و دوره و مسؤوليته ، والمرأة مسؤولة على بيتها لقوله صَلى الله علَيه وسَلّم : " أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (...) وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ وَالمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُم " [2]. لهذا يعتقدون أنّه يجب على المرأة التخلّي عن كافة الواجبات التي وقعت عليها جرّاء العمل خارج المنزل في سبيل الاهتمام بالمنزل والأولاد ، وتتلقى كامل حقوقها ، وهذا ما منحها إياه الله عزّ وجل ، حق الرّجل على المرأة بالقوامة والإنفاق عليها ، لقوله عزّ وجلّ :﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[3].

---

[1] كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التحرر) ، ص 100.

[2] أبو الحسن مسلم : صحيح مسلم ، ج2 ، (1829) ، ص 280.

[3] سورة النّساء ، الآية [34].

إنّ أكثر الذين يتبنون هذا الرأي من الرّجال يعتقدون أنّه حفاظا على شرف المرأة من أن يدنَّس لأنّها ستكون دائمة الخروج إلى الشّارع ، وحفاظا على عادات السّلف في عدم خروج المرأة من البيت ، وهذه " الأفكار استقرت في عقول الكهول وتسرّبت إشاعتها إلى نفوس الشّباب من الرّجال بقولهم : « هكذا وجدنا آباءنا » " [1].

أمّا أصحاب الرأي المقابل فهم يعتقدون أنّه حان الوقت لتخرج المرأة وتشارك الرّجل العمل جنبًا إلى جنب متحمّلة معه أعباء بناء الوطن لأنّه " منذ عقدين أو أكثر ظل المنزل حتى عهد ببعيد عالم المرأة ، تُولد ، تَعيش ، تعمَل ، تَموت فيه ، إنّه عالم ثابت ترث فيه أدوارها الاجتماعيّة عن أمّها ، لكنّ المرأة اليوم غير عالم الأمس ، فبفضل التربيّة والتّعليم والعمل تبدّلت أحوالها فتزايد عدد المتعلّمات والعاملات " [2]، فبتغير العالم نحو الأفضل كان يجب أن تتغيّر معه المجتمعات كذلك نحو الأفضل ، وأن لا تبقى متحجِّرة ومتشدِّدة ومتعصِّبة لأفكار السّلف التي كانت متماشية مع زمنهم ، وأنّه من حق المرأة اليوم أن تحصل على " نوع من الحرّية الشّخصية ، لأنّ اعتمادها على الرّجل يجعل موقفها ضعيف فتكون تابعًا له " [3] ، فهم يقرّون بأنّه يجب منح المرأة نوعا من الحرّية وليس الحرّية المطلقة التي تدعو إلى الفساد ، والتي تخلف وراءها الفاحشة .

إنّ هذا الحق قد منحه لها الله عزّ وجل قبل أن تكون قانونا مسطّرا في الدّستور البشري ، لقوله عزّ وجلّ :﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

[1] كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التحرّر) ، ص 98.

[2] المرجع نفسه ، كمال عبد اللطيف: المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التّحرر) ، ص 98 .

[3] وائل علي صالح الصّمادي : صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، كلية آل البيت ، (د بلد) ، (د ت) ، (نقلا عن الانترنت) ، ص 24.

بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٣٢ ﴾[1] ؛ وهذا يعني أنّ " الإسلام اهتم بالمرأة ، وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة ، ورفعها إلى مصاف الرّجال فهي مع الرّجل في جميع ميادين الحياة " [2]، فهو لم يحرم المرأة من التكسّب والعمل .

وهؤلاء في نظرهم أنّ " أشدّ ما يذعر هذا المجتمع الذّكوري ، أن تثبت المرأة تفوّقها في التّعليم والعمل في المجالات العلميّة والفكريّة ، وسبب الذّعر هو خوفهم أن تتذوّق النّساء سعادة العمل ولذّته فتنجرف في ذلك الطّريق ولا يجدوا من يخدمهم في البيت ويطبخ لهم ويغسل سراويل الأطفال " [3]، فيضطّرون إلى سجن المرأة بمنزلها .

وبين هذا وذاك هناك آراء وسطية لم تُجحف في حقّ المرأة ولا في حقّ الرّجل ، فترى أنّ " أهمّ دوافع المرأة للخروج للعمل هو الحاجة الاقتصاديّة " [4] ؛ أيْ إذا كانت أرملة أو مطلقّة ولها أولاد وليس لديها من يُعيلها ، أو كان زوجها عاطلا عن العمل و بحاجة إلى دخل تساعد به زوجها . " ففرّق العلماء بين عمل الزّوجة الذي يؤدي إلى تنقيص حقّ الزّوج أو ضرره أو خروجها من بيته ، وبين العمل الذي لا ضرر فيه ، فمنعوا الأول وأجازوا الثاني " [5].

---

[1] سورة النساء ، الآية 32.

[2] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظلّ الإسلام ، ص 53.

[3] وائل علي فالح الصّمادي : صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، ص 24.

[4] سليمة بطوطن ، إيمان محامدية : المرأة العاملة والعلاقات الأسرية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، الملتقى الوطني 2 ، حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، في 2013/04/09 ، ص 2.

[5] السيّد سابق : فقه السّنة ، ج2 ، ص 345.

لقد منَح الإسلام المرأة حق العمل والتكسُّب الحلال في حدود شريعة الله وبموافقة وليِّ أمرها في ذلك، مثل أن تكون معلِّمة أو طبيبة لأنّه لا ضرر في هذا العمل ولن يشغل المرأة عن أسرتها ويبعدها عنهم محافظة في ذلك على كرامتها .

وقعت مسائل المرأة جميعًا بين المطرقة والسّندان ، بين مؤيّد ومعارض لتحرّر المرأة ، فهناك من هو منفتح لعادات الغرب وتقدُّمه ، ومتأثِّرًا به حدّ التّماهي وبين منُغلِق لعادات السّلف ولقيَمه ، وبين هذا وذاك وفّق " سعدي صبّاح " في طرح جميع مسائل المرأة ومن بينها العمل الذي لا يرى في ذلك ضررًا ، بل على العكس من ذلك تمامًا فقد كان متساهلاً ومنطلِقًا فيه ، محاولاً فك المرأة من قيود التقاليد وسلاسل العادات .

ففي قصّة " زوجتي الخشيبة " نجد أنّ بطلة القصّة تعمل مدرّسة وكان زوجها شديد الانفتاح ومتساهلا معها يغفر" لها كلّ الزّلات ولكن في حدود " [1] ، فهو لا يغفر لها إن وجدها مع زميلها في العمل ، فقد سمح لها بالعمل ولكن شريطة بقاءها محافظة له على شرفها وكرامته بين النّاس ، كان " سعدي صبّاح " موفقا بين فكر المتحضّرين الذي يرى بوجوب إخراج المرأة من عزلتها وبين فكر السّلف الذي يرى أنّ عفّة المرأة جزء لا يتجزأ من كرامة الرّجل .

إضافة إلى عمل المرأة في مجال البغاء الذي ركّز عليه " سعدي صبّاح" في مجموعته القصصيّة بحيث طرح موضوع المرأة التي تتكسّب عن طريق ممارسة الفاحشة والذي سنتطرّق له في العنصر اللاّحق .

ج. **المرأة الأم :**

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، زوجتي الخشيبة ، ص 22 .

تعتبر الأم مُرشد الإنسان ومعلّمه الأوّل في صغره فتكون نموذجه الأعلى في العطف والحنان ، وتعلّق الإنسان بالدّرجة الأولى يكون مع أمّه لهذا " كانت رمزا للحنان والتضحية "[1]، فميّزها الله عزّ وجلّ بعاطفة الحنان والرّحمة وخاصّة على أولادها و أكرمها ، لقوله في قصّة نبيّه موسى (عليه السّلام) مع أمّه : ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ ﴾[2] ؛ أي أنّ أمّ موسى " أصبح فؤادها فارغا من الهمّ ، حين سمعت أنّ فرعون عطِف عليه وتبنّاه ، كادت لتبدي لهم أنّه ولدها، لأنّها لم تملك لنفسها فرحا وسرورا بما سمعت، لولا أن طامناّ قلبها وسكنّا قلقه " [3] ؛ هذا لأنّ حنان الأم وعاطفتها غالبا ما تتغلب على عقلها فلا تحكم إلاّ بما يمليه عليها قلبها ويحدّثها به ، فتضحي بنفسها كما فعلت أم موسى لتكشف أنّ الولد ولدها.

فهنا تتنازل المرأة عن " حقّها من الوجود لمن فصل من لحمها ودمها " [4]، فبعدما كافحت المرأة لإثبات وجودها، فهي الآن تضحّي بوجودها من أجل بقاء طفلها على قيد الحياة ، فالمرأة " معنى كبير أعدّته العناية الإلهية لوظيفة ساميّة وهي حفظ النّوع البشري والاستدامة ، وهي مخلوق شفاف المشاعر رقيق العواطف " [5].

لقد أوصى نبيّنا الكريم أمّته بالأم وأنّها أحقّ النّاس بحسن الصّحبة ، " فعن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى الرّسول (صلى الله عليه وسلم) فقال : مَن أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسنِ صُحْبَتِي ؟ قال : أُمُّكَ . قال : ثُمَ مَنْ ؟ قال : أُمُّكَ ، قال : ثُمَ مَن ؟ ، قال : أُمُّكَ ، قال : ثُمَ مَن ؟

---

[1] وائل علي فالح الصمادي : صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، ص 60.

[2] سورة القصص ، لآية [10] .

[3] الزمخشري : الكشاف ، ج4 ، ص 486.

[4] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (المرأة بين تكريم الإسلام و إهانة الجاهلية) ، ج2 ، ص 189.

[5] سليم رهيوي : صورة المرأة في ديوان السّاعر لمحمد جربوعة ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللّغة العربية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2015/2014 ، ص 23.

قال : أَبُوك " [1]، لقد منح الله سبحانه وتعالى الأم درجة أعلى من درجة الأب ، لأنّ المشاق التي تعانيها من السّهر والرّعاية أكثر من التي يعانيها الرّجل ، فهي " تعاني من آلام الحمل والوضع مالا يعانيه الآباء "[2].

يقول عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾[3]، لهذا جعل الله سبحانه و تعالى الجنّة تحت أقدامهن لما لهن من فضل في تربية النشء ، وصبرها على الشدائد ، و الآلام بأنواعها.

لهذا فإنّ الأم هي من أهمّ الرّكائز التي يقوم عليها البناء الأسري وعاملا أساسيّ في إعداد النشء ، فصلاح الأم يؤدي إلى صلاح الجيل القادم ، وقد وردت الأم في المجموعة القصصيّة بشكل واسع ، فكانت هي المدرسة الأولى التي يتلقّى فيها الطّفل دروس الحياة ، وكانت هي المعلّمة الأولى في حياته، فصوّرها "سعدي صبّاح " بنموذجين المرأة الأم الصّالحة والمرأة الأم الفاسدة .

فالمرأة الأم الصّالحة كانت هي منبع الحنان والرّحمة بالنّسبة لـ " سعدي صبّاح " والرّأفة بأولادها ، ففي قصّة " على شفير الهاوية " بعدما عاد الفتى من كُليَّته إلى دياره رحبّت به والدته أجمل ترحيب و " الدّمع يخضّل هدبيها " [4] ، وذلك لشدّة شوقها لولدها وطول فراقها عنه فكان الدّمع السّبيل الأوحد لتعبّر عن ذلك الشّوق وتلك المحبّة الصّادقة النّابعة من قلب رحيم .

---

[1] أبي الحسن مسلم : صحيح مسلم ، ج2 ، (2548) ، ص 620.

[2] عباس محمود العقاد ، المرأة في القرآن ، ص 56.

[3] سورة الأحقاف ، الآية [15] .

[4] سعدي صبّاح سرّ البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 36.

وفي قصّة " أطلال منّاعة " بعدما تخرّج الشّخصيّة البطلة من الكليّة عاد إلى أهله ورعيّته فاستقبلته أمّه واحتضنته بعد غيبة " وبيديها الحانيتين لبن – عنزته – الحواء وشطير الخبز الأسمر " [1] ، فالأم الرءوم شديدة الاهتمام بأولادها حتى في صغائر الأمور ، كأن تحضّر لهم ما يحبّون من أنواع الطّعام ، وذلك لاهتمامها المفرط في فلذة كبدها ، فكانت هذه الصّورة التقليديّة للأم التي عرفناها منذ الأزل والتي صوّرها الكتّاب والشّعراء في أعمالهم الخالدة وكان " سعدي صبّاح " من بين هؤلاء ، فكانت الصورة الإيجابيّة للمرأة الأم هي التي تعطف على أولادها وترأف بهم ، فهي تشعر دائمًا أنّ ولدها ذلك الإنسان الضّعيف الذي يحتاج دائما لمن يأخذ بيده مضحيّة بنفسها من أجله .

أمّا صورة الأم السّلبيّة فهي التي جعلت من بناتها وعاءً لممارسة الرّذيلة ، منساقة وراء الشّهوات والمتعة الجنسيّة غير مبالية بالمجتمع وعاداته وتقاليد ضاربة عرض الحائط كلّ الأعراف ، ففي قصّة " على شفيرة الهاويّة " قصّة امرأة تدعى " زُليخة " تمارس البغاء مع ابنتها " لؤلؤة " بإحدى بيوت الدّشرة . " فزليخة " " لا يزعجها حديث الهوى بل تشجّع بطريقة ما مداعبة الفتيات الجميلات " [2] ، فهذه المرأة كانت تدفع بابنتها إلى طريق الرّذيلة غير مراعية بأنّ هذا التصرّف غير لائق في حق ابنتها وأنّه فسق ، أو أنّها بهذه الطريقة تشوّه شرف ابنتها وتدنّسه بتتبّع ما يمليه عليها قلبها .

وفي قصّة " أطلال منّاعة " امرأة تمارس طقوس غريبة مع بناتها مشجّعة لفتيات القرية على ممارسة الرّذيلة دون خجلٍ مُبيحةٍ في ذلك كلّ ممنوع ومنحهن الحرّية المطلقة في طلب يدِ من يشأن من رجال القرية .

---

[1] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح ، سر البيت المفتوح ، أطلال مناعة ، ص 81.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح ، سر البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 37.

استخدم " سعدي صبّاح " في مجموعته القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " صورة المرأة بنمطيها الايجابي و السّلبي فكانت صورة النّمط الأول تقليديّة أم رءوم عطوف على أولادها مضحيّة بنفسها من أجل بقائهم ، أما النّمط الثاني فكانت غير عابئة ببناتها ولا يهمّها سوى تلبيّة رغبتها الجنسيّة الجامحة .

د. **المرأة الزّوجة :**

حثّ الإسلام العباد على حسن اختيار الزّوجة لأنّها المسؤولة على إعداد وتربية الأجيال على طاعة الله ورسوله الكريم ، وأن تكون قادرة على الصبر على تقلّبات الحياة ونكسات الدّهر ، وتكون على قدر من المسؤولية ، لهذا " ينبغي لمن يريد بيت مسلم ، أن يبحث أولا عن زوجة مسلمة " [1].

يعتبر الزواج رابط مقدّس يجمع بين المرأة والرّجل جعله الله ليقضي به " على فوضى الجاهلية في الأمور الجنسيّة ، ورفع من شأن المرأة وأبعدها عن أن تكون مجرّد متعة " [2]، لقوله تعالى :﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[3]. وقبل دخول الفتاة هذه المرحلة الجديدة من حياتها يجب أن تكون على استعداد تام لتحمل مسؤوليّة الزّواج ففي " المنظور الشّعبي – الزواج – علامة فارقة في حياة المرأة ، حتى أنّ هاجس التنشئة والتربية في الأوساط التقليدية ، هو إعداد البنت للاضطلاع بمسؤولية الزّوجة ، وربّة البيت ، وهذا الدّور يعدّ امتيازا للمرأة فازت به " [4]، فيقاس صلاح المرأة بصلاح نشئها وحسن تربيتهم .

---

[1] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : عودة الحجاب (المرأة بين تكريم الإسلام و إهانة الجاهلية) ، ج2 ، ص 236.

[2] مريم نور الدّين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، ص 98.

[3] سورة الروم ، الآية [21.] .

[4] لخضر حليتم : صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 137

رغَّب الإسلام الرّجل في البحث عن المرأة ذات الدّين والخصال الحميدة ، لأنّ الله عزّ وجل لا يهمّه ظاهر المرء بقدر ما يهتم بباطن العبد الصّالح ، وما يحمله قلبه من نوايا حسنة وما يقوم به من عبادات وطاعة الله رهبة ورغبة في نيل رضاه سبحانه تعالى .لهذا بالغ الرّسول (صلى الله عليه وسلم) في البحث على ذات الدّين ، لأنّ مثل هذه المرأة تكون عونا على أعظم أمر يهم المسلم ألا وهو الدّين " [1] ، قال رسول الله عليه الصّلاة والسّلام : " الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعُ الدُّنْيَا المَرأَة الصَّالِحَة " [2] ، ومن أجل هذا وجب توعية الفتاة وترسيخ تعاليم الدّين في عقلها وتعليمها حقوقها وكيفيّة تأدية واجباتها وتعليمها المبادئ والقيم لتتعم بحياة زوجية صالحة .

اعتمد " سعدي صبّاح " في تصويره للمرأة الزّوجة كذلك على صورتين متناقضتين إحداهما محسنة ومخلصة في حبّها ووفيّة لزوجها والأخرى كانت خائنة خاضعة للرّذيلة حدّ التّماهي ، فتشظّت صورة المرأة المُحسنة داخل العمل القصصيّ في مجموعة من القصص منها قصّة " على شفير الهاوية " ، فبقراءة هذه القصة نجد أنّ والدة الكاتب زوجة صالحة رغم أنّ زوجها لم يكن سوى زير نساء ، و يعود ذلك لسذاجتها وإيهام زوجها لها أن " زُليخة " المرابطة امرأة مقدّسة ، إضافة إلى أنّ والدة الفتى " لا تعرف للغيرة معنى " [3]، فاستغل الزّوج العربيد هذه السّذاجة في جلب هذه المرأة العاهرة المقدّسة للبيت دون رادع يردعه أو عادات توقفه ، فهو ببساطة رجل والرّجل في المجتمع الذكوري لا يخطئ أبدا .

وفي قصّة " سرّ البيت المفتوح " فتاة اسمها " وحشيّة " زوّجها والدها بـ " زير نساء وعربيد من أرذل العرابدة " [4] ، لكن لعفّتها لم ترض أن تعيش ذليلة بين يدي هذا الرّجل

---

[1] محمد أحمد إسماعيل المقدّم : دعوة الحجاب (المرأة بين تكريم الإسلام و إهانة الجاهلية) ، ج2 ، ص 236 .

[2] أبي الحسن مسلم : صحيح مسلم ، ج2 ، (1467)، ص 51.

[3] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 37.

[4] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، سرّ البيت المفتوح ، ص 50.

فأعلنت سُخطِها عليه لمّا طلب منها " ذات ليلة حمراء وببيته والعياذ بالله ... تمرير الأقداح على خلّانه العرابدة ... " [1]، وفرّت من عنده تاركة وراءها مجموعة من الرّجال تخلوا عن شيّمهم من أجل لحظات غريزية .

أمّا في قصّة " موت سعديّة " ، امرأة اسمها " سعديّة " رغم أنّها قد تزوّجت باسم العادات والتقاليد ، إلاّ أنّها لم تحرم زوجها من حقوقه بل كانت تسعده بطلّتها البهيّة إلى أن رحلت عنه إلى الرّفيق الأعلى ولم تتذمّر له يوما ، ولم تشكو له نقصًا ورضِيتْه زوجًا لها ورضِيَها ، فيتذكّر الزّوج قبل دفنها فضائلها وحبّها وإخلاصها له .

أمّا صورة الزّوجة الخائنة فقد تعدّدت وتنوّعت من قصّة لأخرى ؛ لأنّ " سعدي صبّاح " طرح بعض الأسباب التي تجعل المرأة تخون زوجها .

فقصّة " أسير الخشخاش " تتحدّث عن زوجة قامت بخيانة زوجها من أجل توفير مال لشراء حشيشة الخشخاش التي أدمنتها ، لكن ما لبثت أن وجدت نفسها كلّ مساء مع مجموعة من المُومسات ، تمارس معهن طقوس البغاء في وكر الرّذيلة ، فرغم ندمِها على ما فعلت ورغبتها بالعودة إلى زوجها كما يظنّها قدّيسة شريفة و طاهرة عفيفة ، وجدت نفسها أسيرة لهذه الحشيشة آفة الزمن الرّاهن .

أمّا قصّة " زوجتي الخشيبة " فتتحدّث عن امرأة تقوم بخيانة زوجها ، رغم ما قام به من أجلها ومنحها الحبّ والإخلاص ، إلا أنّها أجحفت في حقه ، ولم تبادله الحبّ والعطف ، وكانت امرأة جافّة لم ترضخ لزوجها ، رغم محاولاته معها بشتّى الوسائل التي باءت بالفشل و اليأس في كثير من الأحيان فقط لينال مثقال ذرّة من الاهتمام ، إلى أن اكتشَف أنّها تخونه مع زملائها في العمل جاهلاً السّبب وراء ذلك .

---

[1] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، سرّ البيت المفتوح ، ص 50 .

أمّا في قصّة " حين سقطت قمر... ! " تتحدّث القصّة عن خيانة " قمر" لزوجها الشّيخ الذي تزوّجت منه وفق قرار أهل القبيلة ، و عادات مُعينة وأعراف باليّة مع رجل يدعى " شَعثان " مقابل قرط من عسجد ، ولأنّها كانت زوجة شيخ طاعن في السّن وجدت في " شَعثان " فرصة لتحضى بالقليل من الاهتمام متعة لم تنلها مع شيخ .

ومن هنا نستشّف نظرة " سعدي صبّاح " للمرأة الزّوجة التي لم تكن مخلصة كلّ الإخلاص ولم تكن كلّ النّساء في نظره خائنات .

هـ. المرأة و البغاء :

قبل الولوج إلى تحديد طبيعة عمل المرأة والأسباب التي دفعت بها لممارسة هذا العمل نحدّد مفهوم (البِغاء) من الجانبين اللّغوي والاصطلاحي :

لغة : ورد في الصّحاح " بغت المرأة بغاءً ، أي زنتْ ، فهي بغيٌ والجمع : بغايا ، وخرجت المرأة تباغي ، أي تزاني ، والأمة يقال لها : بغيٌ ، وجمعها بغايا ، ولا يراد به الشّتم ، وإن سمّين بذلك في الأصل لفجورهن" [1].

و البغاء : هو " الفجور ، ولا يقال : رجلٌ بغيٌ " [2]. أما في المعجم الوجيز فيقال عن " المرأة (بِغاء) إذا : فجرت وتكسّبت بفجورها ، فهي بغيٌ ،(ج) بغاةٌ : والفئة الباغية (البَغي) : الظّلم ، والخروج عن القانون " [3].

---

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، مادة (ب ،غ ، ا) ، ج4 ، ط4 ، 1990 ، ص 63.

[2] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مادة (ب غ ا) ، ج2 ، ط1 ، 2000 ، ص 122 .

[3] الوجيز : مجمع اللّغة العربيّة ، مصر ، ط1 ، 1970، ص 57.

أما من النّاحية الاصطلاحيّة : " البِغاء هو وسيلة للتكسُّب تشتغل فيها المرأة بجسدها في اتصالات جنسيّة تمارسها مع عملائها ، لا على أساس علاقة شخصيّة شرعيّة أو غير شرعيّة ، وإنّما في نظير ما يدفعونه من مقابل " [1].

ومن جملة التّعريفات السّابقة نجد أن البغاء يعني زنا المرأة وممارستها للفاحشة ليس كعلاقة تربطها بالرّجل وإنما مقابل شيء من المال ، يدفعه لها ، وذلك من أجل " تلبية حاجة الرّجل الجنسيّة ، وتلبيّة حاجة المرأة الاقتصاديّة " [2].

البِغاء ليس ظاهرة حديثة النشأة وإنّما عرفت منذ القديم في الحضارات البدائيّة ، وقد كان الطقوس الدّينيّة المقدّسة لديهم وهي نوعان :

أولهما : " أن تُمارس فيه المرأة بمفردها عبادة تقديمية ، بأن تقدّم جسدها لرجل واحد أو أكثر ثم تتزوّج بعد ذلك بالطرق المعتادة .

ثانيهما : " أن تهب المرأة نفسها إما لفترة معيّنة أو طوال حياتها لخدمة أحد أمكنة العبادة حيث تصبح عاهرة مقدّسة " [3].

وقد كان في اعتبار هؤلاء القدماء أنّ المرأة أو الفتاة التي تتزوج بهذه الطقوس التقديمية قد وهبت نفسها للإله ، وبهذا تصبح عاهرة مقدّسة .

بعد تغير الزّمن تغير معه البِغاء عن الحالة الأولى إلاّ أنّه بقي في مجاله الدّيني المقدّس ، بحيث " اقتصر الأمر على إزالة البكارة داخل المعبد وممارسة البغاء بعرض

---

[1] عبد الرحمن بن جبرين الجبرين : جريمة البغاء ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، قسم العدالة الجنائية ، جامعة نايف العربيّة للعلوم الإسلامية ، 2005 ، ص 32.

[2] وائل علي فالح : صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، ص 31.

[3] عبد الرحمن بن الجبرين الجبرين : جريمة البغاء ، ص 42.

أنفسهن على زوار المعبد ، كان ما يحصلن عليه يذهب إلى خزينة المعبد . ثم أصبحن يحتفظن بجزء منه للإنفاق على زواجهن " [1]. والذي تغيّر في هذه الفترة هو أنّ الفتيات أصبحن يمارسن هذه الطقوس مقابل شيء من المال .

ومن هذا نجد أنّ البدايات الأولى للبغاء هو المجال الدّيني من خلال منح الفتاة نفسها للمعبد ، ثم أصبح بعد هذا عبارة عن رغبة جنسيّة مطلوبا بذاته لإشباع غريزة جنسيّة لدى الرّجل أو تلبيّة حاجة اقتصاديّة بالنّسبة للمرأة .

انتشرت هذه الفاحشة بعد ردحٍ طويل من الزّمن وتغيّرت معه الظّروف الدّافعة ولم يعد يقتصر على الحاجة المادية فقط ، إلى أن " أصبح في صورة فتح منازل مرخّص لها للبغايا بمقتضى بطاقات يحملنها " [2]، قد يحصلن عليها من الدّولة أو الحاكم أو من أي جهة من الجهات العليا للقيام بوظيفتهن على حدّ اعتبارهن .

وقد أُجريَت العديد من الدّراسات في مجال البغاء وأهم الأسباب الدّافعة لفعل هذا فكان منها ما يخص علم النفس ويرجعها لأبعاد نفسية ، وعقد أوديبية تولّدت مع الطفولة ، وهناك من يرجعها لأسباب اجتماعية وتفكّك أسري ونقص الرّقابة ، وهناك من يرجعها لأسباب اقتصاديّة ، وتغطية حاجة ماديّة ملحّة وغيرها من الأسباب نذكر منها :

-العامل النفسي :

و يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّه " تشبع البغي عدوانيتها بما تبتزّه من مال عملائها ، وكيف أنّ المال في مجتمعنا بالنّسبة للرّجل رمز لقوّته ، واكتمال لرجولته والبغي بسلبها

---

[1] نجية إسحاق عبد الله محمد : سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، (د ط) ، (د ت) ، ص 46.

[2] المرجع السابق ، نجية إسحاق عبد الله محمد : سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية)، ص 41.

إيّاه تسلبه هذه القوّة " [1]، ففي نظرهم هذه المرأة أنّها قد أفقدت الرّجل قوته وسيطرته لأنّها قد تمكّنت منه في لحظة ما لا يمكن له أن يتخلّى فيها عنها ، وبهذا جعلته تابعا لها ، وراغبا فيها في لحظة ما ، وهذا يعني أنّها قد كانت تعاني من تهميش والدها لها في الصّغر أو أنّه لم يعرها اهتمام اللاّزم باعتبار أن والدها هو الرّجل الأوّل في حياتها ، فأرادت إثبات ذاتها من خلال هذا الفعل مع جميع الرّجال وليس الرّجل الأوّل في حياتها .

-العامل الاجتماعي :

ويعدّ هذا العامل من أهمّ العوامل التي تفتح للمرأة الباب الواسع لممارسة الرّذيلة حتى منذ الصّغر ، وذلك يرجع لمجموعة من الأسباب منها " تفكك الأسرة ، ضعف الرّقابة على الصّغار، سوء التّنشئة الاجتماعيّة ، انحطاط القيم والمعايير الأخلاقيّة السّائدة وفسادها ، إلى جانب فساد البيئة الاجتماعيّة المباشرة كالحي و الجيران " [2].

وكلّ هذه الأسباب توفر نوعا من الحرّية الشخصيّة للمرأة لتمارس البغاء إضافة إلى أن هذه الأسباب لا تؤثر على المرأة وحدها وكذلك على الرجل حيث تمهّد له ممارسة الجرائم بأنواعها كالسّرقة والقتل والعربدة ، والآفات الاجتماعية .

-العامل الاقتصادي :

وهو من أهمّ العوامل الذي من أجله تمارس المرأة البغاء ، بحيث يغطي لها نوعا من الحاجة المادية ، بحيث أن معظم النّساء اللّواتي يمارسن البغاء من أسر فقيرة " فالبغاء

---

[1] المرجع نفسه ، نجية إسحاق عبد الله محمد : سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية)، ص 51.

[2] المرجع السابق ، نجية إسحاق عبد الله محمد: سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية)، ص 49.

وسيلة للتكسّب تلجأ إليها المرأة للحصول على ضرورياتها وإن كانت لا تملك وسيلة أخرى لتعيش لأنّ البغاء طريق للتكسب لا يحتاج إلى رأس مال أو تعليم أو تدريب " [1].

تنوعت الأسباب الدّافعة للبغاء وتعدّدت ، وكان من أهمها الحاجة المادّية ، وذلك إن كانت المرأة مطلّقة أو محرومة ماديا أو فقيرة ، أو كانت طليقة رجل عربيد فيفتح لها المجال . إضافة إلى نقص الوازع الدّيني دون إغفال دور الوسائل التكنولوجية مثل التّلفاز والانترنت التي تروّج لهذا العمل ، بحيث أصبح في المجتمع الإسلامي ظاهرة عادية تكسبيّة كغيره من الأعمال والوظائف إلّا أنّ " ما يؤدي إلى جريمة يعتبر جريمة . فإذا كان الزّنا جريمة فكل الوسائل المؤدية إليه جرائم مثله ، كفتح المحلات للدّعارة والتوسّط بين النّساء والرّجال لهذا الغرض " [2]، فكان حريّ بالمرأة أن تستغل طاقتها في أعمال أكثر احتراما حفاظا على كرامتها وعفّتها في أن تستعملها في الرّذيلة والفاحشة .

وقد جعل الله الزّواج حدّا لهذا النّوع من العلاقات ، " وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة ، وحمى النّسل من الضّياع ، وصان المرأة عن أن تكون كلأ مباحا لكل راتع " [3].

ارتكزت المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " على عنصر البغاء ، وكان هو السرّ الذي تحمله وتكشف عنه ، وجعل الكاتب السرّ وراء ذلك هو الظروف التي كانت سببًا في دخول المرأة لهذا المجال ، فكان على الكاتب أن يصوّر المرأة في شتّى مجالات الحياة ليُبيِّن السرّ في ممارسة الرّذيلة ، فكانت منهن المتعلِّمة والعاملة والأم و الزّوجة كاشفًا بهذا عن خبايا المجتمع الذكوري الذي كانت ومازالت تعاني منه المرأة في تهميشه لها .

---

[1] المرجع نفسه ، نجية إسحاق عبد الله محمد : سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية)، ص 46

[2] عبد الرّحمن بن الجبرين الجبرين : جريمة البغاء ، ص 77.

[3] السّيد سابق : فقه السّنة ، ج2 ، ص 133.

ففي قصّة " أسير الخشخاش " الشخصيّة البطلة "وردة " تمارس البغاء لتوفير المال الكافي لشراء حشيشة الخشخاش ، التي أدمنتها بغير علم زوجها ، الذي كان يعتقد بأنّها امرأة شريفة ، ومع ذلك بقيت المرأة تُصارع الرّذيلة لوحدها تتجرّع آلام الخيانة الزوجيّة ، وآلام خطيئتها في ممارسة البغاء الذي لم تستطع الإقلاع عنه ولا الإقلاع عن آفة المخدرات متأسيَّة على زوجها الذي لا يعلم أنّه بأحضان زانية .

أمّا في قصّة " زوجتي الخشيبة " تتحدّث عن امرأة تمارس الرّذيلة مع زملائها في العمل ، وذلك مقابل مبلغ من المال ، فالقاص " سعدي صبّاح " لم يصرّح بذلك في القصّة ، بل جعل الزّوج جاهلا السّبب وراء ذلك حتى أنّه لم يسأل خشيبته عن السّبب الذي دفعها ، إلاّ أنّه من خلال فعل القراءة نستشّف أنّ هذه المرأة كانت تحبّ المال حبًّا جمًا، وذلك من خلال قوله : " زوجتي الخشيبة شغوفة بالحديث عن الرّاتب والزّيادة في الأجور ... " [1] ؛ وهذا يدلُّ على أنّ هذه الزّوجة كانت تمارس فعل البِغاء حبًّا في المال ورغبة في الحصول عليه فقط ، وليس لتغطية حاجة مادية تنقصها .

أمّا " زليخة " في قصّة " على شفيرِ الهاوية " التي كانت تُمارس الرّذيلة مع ابنتها ، هذه المرأة المرابطة أو المشعوذة كانت في نظر أهل القرية عاهرة مقدّسة ، ويجب على سكان القرية الأخذ ببركاتها ، ولم تلبث طويلاً إلى أن حوّلت منازل الدّشرة إلى أوكار لتفريغ شُحنات جنسيّة غير عابئة بالمجتمع وعاداته وتقاليده ، تنشر بينهم ملامح الفسق والرّذيلة إلى جانب الشّعوذة .

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، زوجتي الخشيبة ، ص 22 .

وكذلك ابنتها التي ورثت عنها هواية الغواية والرّقص والمجون فراودت الفتى عن نفسه وأرادت أن تسُوقه بمفاتنها إلى الهاوية مُستبعِدة وإيّاه أعراف الدّشرة ، فكانت هذه الهواية الوحيدة التي اكتسبتها من أمّها من أجل البقاء .

أمّا " قمر " في " حين سقطت قمر " تعوّدت ممارسة الرّذيلة مع " شعثان " لأنّها تزوّجت بالإكراه من شيخٍ ، فما كان لها سوى القبول بهذا السِّجن والسَّجان وفق العادات والتقاليد ، ولم تجد مفرًّا منه سوى الانصياع نحو اللّذة من أجل كفِّ رغبتها الجامحة في الجنس ولم يكن أمامها سوى زوج الضريرة الذي ملّ الفراش بسببها هو الآخر ، وهذا مقابل إعطاءها قرط من عسجد ، فوجدت فيه السّبيل الوحيد لتحقيق ما تريده ، اللّذة الجنسيّة والماديّة معًا ، فكانت لحظة ممارسة الرّذيلة بالنّسبة لـ " قمر " هي لحظة السقوط .

أما " وحشيّة " في قصّة " سرّ البيت المفتوح " فمارست البِغاء من أجل كسب لُقمة العيش وبسبب الجوع والعوز ، فبعدما اكتَشَفت أنّها زوجة لعربِيد لم تستطع المكوثَ معه مدّة أطول ، ففرّت من عنده مع عِلمها أنَّ المجتمع لن يتقبلها لأنّها زوجة زير نساء فوجدت في البغاء السّبيل الوحيد أمامها لتحافظ على بقاءها .

أمّا في قصّة " بهتان امرأة " تعيش بطلة القصّة مع زميلها في العمل مدعيّة أنّه خالُها الذي كان يعوّضها كلّ ما ينقُصها " فهي بحاجة للمْلمَة يُتمِّها وتعويض حنان أب " [1]، ويوفّر لها المال والسّكن مقابل منحه اللّذة الجنسيّة ، إلاّ أنّ خُدعة هذه المرأة المتمرِّدة وبُهتانها لم يدوما طويلا .

وفي قصة " ظبية الصّحاري " رحلة الكاتب مع حبيبته يمُرَّانِ بشارع فيه نساء يُمارسن الرّذيلة من أجل المتعة – المتعة الجنسية والمتعة المادية – وعيش الرفاهية بالنّسبة للمرأة ،

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، بهتان امرأة ، ص 57.

إلاّ أنّ بطلة القصّة كانت تمارس ذلك من أجل المتعة الجنسيّة فقط لأنّها وقعت أسيرة حبّ بطل القصّة – الكاتب – وعندما تفطّن الرّجُل لما كان بينهما هجرها وأعادها إلى قريتها ، إلاّ أنّه أيقن فيما بعد أنّها كانت ترى فيه الحبّ والجسد لأنّهما " وجهان لعملة "[1] واحدة .

أمّا قصّة " أطلال منّاعة " تتحدَّث القصّة عن امرأة تمارس الرّذيلة بسِحرها بعدما حُرِمت من زوجها وأخذته امرأة من الجنّ ، أدمنت هذه المرأة الرّذيلة من الجنّ والإنس لتعوِّض ما ينقصُها ، فكانت امرأة شغُوفة بالرّقص والغناء ، فكانت تقوم بالرّقص مع أهل القرية على الطريقة اليونانيّة القديمة والتطهير الأرسطي من الذّنوب إلى أن ينصاع أهلُ القرية نحو الرّذيلة بعدما تطلق العنان لرغبتها الجنسيّة الجامحة . من دون خجل أو اكتراث تقوم نّساء الدّشرة بغواية الرّجال فيؤجِّجن فيهم نار حبّ الرّذيلة وممارسة الفاحشة ، وهذا ما فعلته ابنة المشعوذة بالفتى الذي أحبّته وقامت بغوايته ، وجرّه إلى الهاوية لممارسة الرّذيلة والفحشاء أمام الملأ ، لكن الفتى لم يرضَخ لها وفرّ منها ، وبعد مرور السِّنين التقيا مجددا وقامت بغوايته في إحدى الغُرف التي اكتراها من أجلها وأخبرته الحقيقة ، وأنّها ابنة " المرأة الجميلة التي كانت – تريده – بالحظيرة " [2] ، وقد فعلت هذا لأنّها كانت ترى فيه الحبّ ومعانيه .

مارست المرأة في هذه القصّة البغاء رغبة في الانتقام من المرأة الجنيّة التي أخذت منها زوجها أمّا ابنتها فقد ورثت عنها الهواية وأصبحت مثلها رغم حبّها الصادق للفتى .

طرح " سعدي صبّاح " في مجموعته القصصيّة "سرّ البيت المفتوح " آفة العصر ألا وهي البغاء التي أصبحت بالنّسبة للكثير من المجتمعات العربيّة والإسلاميّة خاصّة ظاهرة اجتماعيّة عادية ، أو طريق تكسُّبية لا ضرَر فيها مثلها مثل أيّ عمل آخر في أيِّ قطاع كان ، وقد قام بتوضيح الأسباب المؤديّة لذلك وكانت معظم الأسباب إما اقتصادية لتغطية

---

[1] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 70.

[2] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 91.

حاجة مادية ، أو أسباب اجتماعية وتكون بسوء التربية والتنشئة السيئة للفتيات ، أو أسباب نفسية و يكون الحب أو الانتقام وراء ذلك بمنح المرأة نفسها لمن تهوى ، و قد صرّح القاص " سعدي صبّاح " بذلك في قوله : " لَا تُوجَد امرَأَة تُمَارِس الرَّذيلَة عَلَى السَّلِيقَة مِثلَ الشِعرِ والمَوسِيقَى " [1] ، بل إنّ هناك ظروف تدفع المرأة إلى هذا الطريق ، وتنغمسُ في وحل الرّذيلة الذي لا مفرّ منه .

[1] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، سرّ البيت المفتوح ، ص 50.

الفصل الثاني :

الصورة الفنيّة للمرأة بين القديم والحديث :

1. الصورة الفنية للمرأة في القديم :

* التشبيه .

* الاستعارة :

_ الاستعارة التصريحية.

_ الاستعارة المكنية .

* الكناية .

2. الصورة الفنية للمرأة في الحديث .

زاوَج " سعدي صبّاح " في استخدام الصّورة الفنيّة للمرأة بين القديم والحديث في مجموعته القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " ، ففي القديم نجد أنّ القاص قد استعمل التّشبيهات والاستعارات التي اعتمدها السّلف في شعرهم كتشبيه المرأة بالغزالة في حُسنها وجمالها والظّبي في رشاقتها وخفّتها ، وبالأفعى في دهائها ومكرها ، ليشعرنا القاص " سعدي صبّاح " وكأنّنا أمام مدوّنة من العصر العباسي ، حيث زخرت أشعارهم آنذاك بالبيان والبديع .

أمّا استخدامه للصورة الفنيّة الحديثة والتي يعتمدها أغلب الكتّاب المعاصرين في كتاباتهم ، فمن خلالها نكشِف عن صورة المرأة في العمل القصصيّ وشخصيتها ، فتارة تكون امرأة متمرّدة وتارة أخرى تكون امرأة خجولة ، وأحيانا يصفها بالماجنة وأحيانا أخرى يصفها بالعفيفة الطّاهرة .

وبين هذا وذاك وقعت مجموعة من الثنائيات المتضادّة التي نستشفها من خلال الصّورة الفنيّة للمرأة داخل العمل القصصيّ " سرّ البيت المفتوح " .

1. صورة المرأة الفنيّة في القديم :

أ.**التّشبيه** : حفِلت المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " بألوان البيان كالتّشبيه الذي زادها جمالاً ورونقًا وكان أكثر إيضاحا لصورة المرأة الحسّية .

فنجد في قصة " أسير الخشخاش " في قوله : " هَمَسَت هَمسَ السَّنَابِلِ " [1] تشبيه بليغ ، بحيث شبّه همس الفتاة بهمس السّنابل في نعومتِه ، وقد منحت صورة همس السّنابل الوضوح وبالإبانة لصورة همس الفتاة أو بالأحرى لصوت الفتاة .

وفي نفس القصّة نجد في قوله : " كُنتُ الوَردَة "[2] تشبيه بليغ أيضا ، حيث شبّه جمال المرأة وبهائها وحسن إطلالتها على عرش بيتها بجمال الوردة في المرج ، فكان الجمال هنا هو الصّفة الجامعة بين الفتاة والوردة .

أمّا في قصّة " زوجتِي الخشيبَة " فنجد التّشبيه في قوله : " امْرَأَة سَاجِيَّة كَالبَحْرِ " [3]، تشبيه : حيث شبّه هدوء المرأة وسكونها بالبحر في هدوءه ، وهذا يعود إلى أنّ المرأة في هذه القصّة هادئة جدا ولا تكثر الكلام مع زوجها . ولكن حينما تغضب فإنّه لا يستطيع أن يُكّف غضبها فشبهها بأمواج البحر العاتية في قوله : "غَاضِبَةٌ كَأَمواَجِهِ "[4]، فكانت زوجته شديدة الغضب حتى من صغائر الأمور .

وفي قوله : " لَكِنَّكِ أُفَيعَى" [5]هنا تشبيه بليغ ، حيث شبّه المرأة في مكرِها وخداعِها بالأفعى ، وقد استخدم كلمة (أُفَيعَى) تصغيرًا واحتقارًا لها ، وهذه الصورة قديمة فكثيرًا ما

---

[1]سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 07.

[2]المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 08.

[3]المصدر نفسه، سعدي صبّاح :سرّ البيت المفتوح ، زوجتي الخشيبة ، ص 21.

[4]المصدر نفسه، سعدي صبّاح :سرّ البيت المفتوح ، زوجتي الخشيبة ، ص 21.

[5]المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، زوجتي الخشيبة ، ص 25.

تُشبَّه المرأة المخادعة بالأفعى ، لأنّها هي التي أنزلت آدم وحواء من منزلتهما دار البقاء إلى دار الشّقاء بمكرها وخِداعها ، وهذا ما فعلته هذه المرأة في قصّة " زوجتي الخشيبة " فقد أخرجت زوجها من لذّة العيش في بيت الزّوجية حينما وجدها تسمر وتضحك سافرة الشَّعر إلى جانب كومة من الرّجال الغرباء .

منحت هذه التشبيهات صورة دقيقة للمرأة في قصّة " زوجتي الخشيبة " فقد اتّسمت بالهدوء الممّل والغضب الشّديد على صغائر الأمور والمكر والخداع ، فكانت هذه هي صورة المرأة المعنويّة في قالب حسّي ، تجسّدت داخل العمل الإبداعي ، بحيث يمنح القاص للقارئ الخطوط العريضة للشخصيّة من خلال قيامه بفعل القراءة .

أما في قصّة " علي شفير الهاوية " فنجد في قوله : " اخْتَفَت تَحتَ جَنَاحِ البُرنِس كَعُصفُورَة بلَّلَهَا المَطَر " [1]، تشبيه : بحيث شبّه القاص المرأة في هذه القصّة بالعصفورة المبلّلة حينما ولَجتْ تحت البُرنس ، فكان وجه الشّبه هنا يحمل في طيّاته معنى الضُّعف والبحث عن المأوى ، فالعصفورة المبلّلة كثيرا ما تكون ضعيفة تشعر بالبرد ، وكذلك المرأة هنا وكأنّها شعرت بنوع من الضّعف والبرد ، فكان جناح الرّجل الغريب هو المأوى ، وهذه الصّورة الحسّية تمثّل مدى مجون المرأة في القصّة .

وكذلك نلتمس التشبيه في موضع آخر ، حينما قال : " دَخَلَت تَتَمَايلُ فِي الرَّحبَة كَغُصنِ البَان " [2]؛ بحيث شبّه المرأة في رقصها وتمايلها أمام النّاس بالغصن فكانت هذه الصّورة تقرّب للقارئ مدى مجون هذه المرأة ورغبتها الجامحة في الجنس الآخر .

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 38.

[2] المصدر نفسه، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، على شفير الهاوية ، ص 59.

وفي قصّة " موت سعديّة " نجد التشبيه في قوله : " وَجْهٌ وَضَّاءٌ كَالقَمَر " [1]؛ بحيث شبّه جمال المرأة وبهاءِ وجهها وبياضه بالقمر ، وهذه الصّورة الاستعمال فكثيرًا ماكان الشّعراء القُدماء والكُتّاب حين يتغنون بالمرأة يشبّهون جمال وجهها بالقمر أو بالأحرى بالبدر ، فاستعمل القاص " سعدي صبّاح " هذه الصّورة ليقرّب للقارئ صورة المرأة الحسيّة في قصّة " موت سعديّة " ، لأنّنا من خلالها نكتشف أنّ" سعديّة " ذات جمال فائق وعلى قدرٍ من بياض لون البشرة ، وذلك من خلال استخدام ، القاص لصيغة المبالغة (وضّاء) التي تبيّن درجة نور وجه المرأة .

وإذا عرّجنا إلى قصّة " بهتان امرأة " نجد التّشبيه في قوله : " مُبَعثَرَة كَتَبَعثُرِ أَورَاقِهَا " [2]، بحيث شبّه طيش المرأة ودرجة عدم مبالاتها بتبعثر الأوراق ، فالتّبعثر هنا يحمل في طيّاته معاني كثيرة مثل عدم النّظام وعدم الاتّساق ، التّشتت ، اللاّمبالاة ، التّمرّد على الطّبيعة ، فكانت صورة تبعثر أوراق المرأة هي أشبه بشخصيتها وأفكارها المتمرّدة ، وهذه الصّفات تقرّب للقارئ الصّفات المعنوية للمرأة في قالب حسّي وهو (تبعثر الأوراق).

وفي قصّة " ظبية الصّحاري " نجد التّشبيه في قوله : " شَمَّرَت وَرَمَت كَعبَيْ الغَزَال بِالبِركَة " [3] ، بحيث شبّه رشاقة سيقان المرأة بكعبي الغزال وهذه الصّورة الفنيّة شائعة الاستعمال عند القدماء ، فكثيرا ما يصف الشّاعر المرأة بما تلحظه عينه من المحسوسات كالقمر والغزال والظبيّة ... وغيرها ، فمثلا يشبّهون رشاقة المرأة وخفّتها بالغزال وقد استعمل القاص هذه الصورة لأنّها أولا شائعة الاستعمال بالتّالي فهو يساعد القارئ في رسم الصّورة الحسّية للمرأة في خياله بالنمط الذي عهده عند القدماء ، وثانيا تجنّبا

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، موت سعديّة ، ص 56.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، بهتان امرأة ، ص 57

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 67.

للوصف الدّقيق والمباشر للمرأة فيمنح القاص للقارئ نوع من التّشويق وحبّ المغامرة في البحث عن صفات أخرى لهذه المرأة داخل العمل الإبداعي " ظبية الصّحاري " .

أما في قصّة " أطلال منّاعة " فنجد التشبيه في قوله : " امْرَأَةٌ هَيفَاء نَزَلَت كَمُزنَة عَلَى الأَرضِ العَطشَى " [1]، فقد شبَّه المرأة في هذه الصّورة الفنيّة بـ (المَطَرِ) الذي ينزل على الأرض العطشى والقاحلة ، فكأنما نزول هذه المرأة إلى القرية – قرية منّاعة – كالمطر الذي ينزل بالأرض الجافّة ، ومن هنا نستشّف صورة المرأة الحسيّة بأنّها كانت امرأة شديدة الجمال على خلاف أترابها من نساء القرية ، فالمزنه تروي الأرض بعد العطش والجفاف وترجع إلى سابق عهدها جميلة وبهيّة . فكانت هذه المرأة بجمالها ، وقد روت عطش أهل القرية من الرّجال.

فكانت هذه الصّورة الفنيّة قد منحت الصّورة المعنويّة للمرأة الإيضاح والإبانة ، فالجامع بين المزنه والمرأة هو الرّي والارتواء ، والمرأة في هذه القصّة هي امرأة غجريّة حلَّت بقرية " منّاعة " لم يعهد لأهل القرية أن رأوا جمالاً يضاهي جمالها .

وكذلك نجد التشبيه في قوله : " نَأَت مَرَابِعُنَا كَمُزنَه عَابِرة " [2]، بحيث شبّه المرأة بالمزنة العابرة ، وذلك بعد رحيل المرأة عن القرية ، والتي جعلتهم يعيشون معها ليالي السّمر والمرح ، فكذلك المزنه التي تمنح البهجة والفرح لأهل الأرض ثم ترحل بعد مدّة قصيرة ، فيكون الشّوق والحنين لهذه المزنه التي منحت أهل القرية حياة جميلة .وقد استخدم القاص كلمة (مُزنة) ؛ لأنّها هي التي تمنح الزّرع للأرض والارتواء بعد العطش والإصلاح بعد التدمير ، فالمزنة عكس المطر القويّ الذي لا يخلّف سوى الدّمار والانجراف ، فكانت هذه صورة المرأة من خلال التّشبيه ، فقد منحت أهل القرية الحياة

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 81.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 86.

والبهجة والمرح بعدما كانت شبه ميتة ثم تعود وتنأى عن الدّيار لتعود الحياة إلى طبيعتها روتينية قاتلة .

وكذلك نجد التّشبيه في قوله : " سَقَطَت سُقُوطَ العُصفُورَة فِي حِجرِ الدّفة " [1]، فقد شبّه المرأة في هذه القصّة بالعصفورة الضّعيفة التي تقع في حجر الشراك فكانت الصورة الجامعة بين المرأة والعصفورة هو الضّعف الذي يمثله فعلٌ السقوط ، فالكائن الضّعيف هو الذي يسقط عكس الكائن القوي ، وقد استخدم القاص هذه الصّورة الفنيّة والحسيّة ليقرّب للقارئ مدى ضعف المرأة إزاء شهواتها الجنسيّة التي مهما كبَحَت ومنعَت نفسها إلا أنّها كائن ضعيف يقع دائما في الشّراك وهو شراك الحبّ ، فنقطة التحوّل في حياة المرأة أبرزها الفعل (سَقطَت) لأن هذه المرأة كانت متمرّدة وماجنة وامرأة بغيّ ، ولكنّها وقعت أسيرة حبّ القاص فكانت هذه الصّورة الفنيّة تمثّل مدى وقوع المرأة في شراك أسيرها .

كانت هذه جملة من التّشبيهات التي استخدمها القاص " سعدي صبّاح " في مجموعته القصصية " سرّ البيت المفتوح " ،التي من خلالها تمّ الكشف عن صورة المرأة المعنويّة والحسيّة ، فالمعنويّة تمثّلت في أنّها امرأة مخادعة و ضعيفة و متمرّدة و غير مباليّة ... أما الصّورة الحسيّة فتمثّلت في جميع التّشبيهات التي تحمل في طيّاتها معنى الجمال والكمال والبهاء .

أ. **الاستعارة:**

إلى جانب التّشبيهات سابقة الذّكر نجد الاستعارة بنوعيها التّصريحيّة والمكنيّة :

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 88.

- **الاستعارة التّصريحيّة :**

نجد الاستعارة التّصريحيّة في قوله : " رَفَعَت وَجهَ القَمَرِ "[1] في قصّة " أسير الخشخاش " ، ويقصد بهذه الصورة أنّ المرأة كالقمر وحذف المشبه وترك لازمة تدل عليه وهي (الوَجه) ، فالقمر ليس لديه وجها وإنّما الإنسان ، فكان جمال وجه المرأة يضاهي جمال القمر ، فكانت هذه الصورة أقرب لتجسّد درجة جمال المرأة في العمل الأدبي .

وكذلك في قصّة " حين سقطَت قمر...! "نجد الاستعارة التّصريحيّة متمثّلة في قوله : " يَخشَى ظَبيّةً بَرِيّةً صَعبَة المَنَالِ "[2] ، وقد شبّه القاص المرأة في هذه الجملة بالظبيّة البريّة ، والعلاقة التي تجمع بين المرأة والظبيّة هي الوحشيّة والتمرُّد وعدم الخُضوع ، فالظبيّة البريّة اعتادت على الحريّة والانطلاق ، وكذلك المرأة فمن خلال القصّة نجد أنّها امرأة بدويّة على قدرٍ من الهمجيّة والتمرّد، لم تأب الخضوع للرّجل ولا لرغباته الجنسيّة .

وفي قوله كذلك : " يَكَادُ السُقوط بِالقَمَرِ مِن عَليَائِه إلَى أحْضَانِ الرّذِيلَة " [3]، بحيث شبّه المرأة العفيفة بالقمر العالي وسقوطها في الرّذيلة بسقوط القمر من عليائه إلى الأسفل فكان العلو والشُّموخ هو الصفة الجامعة بين القمر و المرأة ، فالمرأة تسمو عن الناس بكرامتها وعفتها وحيائها ولما خسرت حيائها سقطت للدّرَكِ الأسفل ، وهذه استعارة تصريحية حيث صرّح بالمشبه به ولكن حذف لفظ المرأة وترك الجملة الدّالة عليه ، وهي (السّقوط إلى أحضان الرّذيلة) .

---

[1] سعدي صباح : سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 07.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صباح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 44.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 44.

وفي قصة " ظبية الصحاري " نجد الاستعارة التّصريحيّة في قوله : " أدَارت الظَبيَّة زِرَّ المِذيَاعِ "[1] ، ذلك أنّه قد شبّه المرأة بالظبيّة لجمالها وخفّتها ، فصرّح بالمشبّه به وحذف المشبه وترك لازمة من لوازمه هي (أدَارَت) ، لا يمكن أن تقوم الظبية بمثل هذا الفعل وإنّما الإنسان من يفعل ذلك .

وفي قوله أيضا : " أطلَّ القمرُ ضاحكًا "[2] ، استعارة تصريحية بحيث قد شبّه المرأة في جمالها وبهاء طلّتها كإطلالة القمر وقد صرّح بالمشبه به ، وحذف المشبه ليزيد الجملة أو الصّورة الفنيّة جمالاً ، مع تركِ لازمة تدلّ عليه وهي (ضَاحكًا) .

وفي نفس القصّة نجد الاستعارة التّصريحيّة في قوله : " مَالَت الغَزالةُ " [3]، فقد شبّه المرأة في رشاقتها بالغزالة ، و حذف لفظ المرأة وترك لازمة من لوازمه تدلّ عليه وهي لفظ (مَالَت) .

وفي قصّة " أطلال منّاعة " نجد الاستعارة التّصريحيّة في قوله: " عَثرْتُ عَلى غَزالِ الرّملَة مُتَأنّقةً ومُتَعَطّرةً " ، بحيث شبّه المرأة بغزال الرّملة فكانت على قدر من الجمال والكمال .

وفي نفس القصّة نجد الاستعارة التّصريحيّة متمثّلة في قوله " نَعبُرُ الفَيافي والفرَاشَة تَمشِي وَئيدَةً " [4]، بحيث شبّه المرأة بالفراشة ، وهي تمشي متمهّلة قاطعةً مسافة طويلة من غير ملل أو كلل ، فالفراشة تتميّز بمرحها في المروج ، وتنقُّلها بين الأزهار قاطعةً تلك المسافة من غير ضجر .

---

[1] سعدي صباح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 89..

[4] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 89.

فكانت هذه مجموعة من الصّور الفنيّة التي تمثّل الاستعارة التّصريحيّة ، التي استعملها القاص ، وصرّح فيها بالمشبّه به وحذف لفظ المرأة في أغلب الأحيان ، وذلك لتكون الصّورة الحسيّة أو المعنويّة أكثر وضوحًا وجمالاً من ذكرها .

- **الاستعارة المكنيّة :**

استخدم القاص " سعدي صبّاح " جملة من الاستعارات المكنيّة التي بدورها قامت بإيضاح صورة المرأة وتبيانها وتسليط الضّوء على أهم سماتها .

ففي القصّة " أسير الخشخاش " نجد الاستعارة المكنيّة متمثّلة في قوله : " أُحَدّقُ فِي سِربِ الحَسنَاوَات " [1]، بحيث شبّه النّسوة وهنّ يمرحن ويسرحن على التلّة بالطّيور أو بالأحرى بسرب الطّيور ، فكان وجه الشّبه بينهما هو التجمّع والمرح في جماعة مثلهن مثل الطّيور التي تعيش في جماعات .

وفي قصّة " ظبية الصّحاري " نجد الاستعارة المكنيّة في قوله : " رَشَقتنِي بِالنَّظرَة السَّاحِرة "[2] ، بحيث شبّه نظرة المرأة بالسّهم أو بالحجارة ، بحيث أنّ الرّشق لا يكون إلاّ بالسّهم أو الحجارة ، فحذف المشبّه به ، واكتفى القاص باستخدام لازمته في الصّورة الفنيّة وهي الفعل (رَشقَتنِي) ، وهذا لِتبيان درجة جَمال وسِحر نظرة المرأة التي تُصيب كما يصيب السّهم في الهدف .

وفي قوله " وقَعَت مُعجَبتِي لاَ محَالَة فِي الشِّرَاك " [3]، هنا استعارة مكنية بحيث شبّه المرأة بالعصفورة التي تقع في الشّراك ،فالمرأة هي الكائن الضّعيف الذي ما يلبث أن

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 07.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 88.

يستسلم لعدوه أو أسيره وينصاع له دون رادع يردعه . فالمرأة في أول الأمر تخشى على نفسها من الحبّ ثم تخشى على حبيبها أن يتركها ، فكانت هذه صورة المرأة في قصة " أطلال مناعة " التي أحبت القاص حدّ الهُيام فلم تقاوم الشّراك الذي نصبه لها وهو شراك الحبّ .

ج.**الكناية** : اعتمد القاص على الكناية لتوضيح صورة المرأة وتجسيدها في صورة حسيّة لتقريبها لذهن القارئ ، ومنح المجموعة القصصيّة ألوان البيان بما جادت به اللّغة العربيّة من تشبيهات واستعارات وكنايات .

فنجد في قصّة " أسير الخشخاش " [1] أنّ العنوان عبارة عن كناية ، فالأسير هنا لا يمكن أن يكون أسير حشيشة وإنّما أسير سجن ، لأن المرأة في هذه القصّة كانت تتعاطى هذه الحشيشة ، فكانت درجة الانغماس في عالم الرّذيلة جعل منها امرأة تابعة له ومقيّدة به ، والجامع بين المخدرات والسّجن هو خضوع الفرد وتبعيته لسجّانه ، فخضوع المرأة لرغبتها في تعاطي المخدّرات جعل منها أسيرة لها ، فهذه الكناية تحمل في معناها التبعية والخضوع .

و في قصّة " حين سقطت قمر...!" نجد الكناية في قوله : " أَسِيرَةٌ بِحيَاة شَيخٍ " [2]، فهذه كناية تمثل مدى معاناة المرأة التي تزوّجت شيخًا ، فكانت هذه الصورة تمثّل مدى تعاسة هذه المرأة وحياتها البائسة المملّة إلى جانب شيخٍ طاعن في السّن .

---

[1] سعدي صبّاح :سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 07.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 42.

وفي القصّة نفسها نجد الكناية تتمثل في قوله : " مُهرَة بَرِيَّة لاَ سِرج ولَا لِجَام " [1]، فهذه الكناية تمثّل مدى تمرّد المرأة وعدم خضوعها لغيرها فكانت المهرة البرّية الصّورة الأقرب لتمثل مدى تمرّد المرأة ، فهذه كناية عن صفة التمرّد في المرأة .

كذلك نلتمس الكناية في قوله : " انْقَلبَت إِلَى هِرَّة أَلِيفَة " [2]، فهذه كناية عن الطّاعة والرّضوخ عكس التمرّد .فكانت هذه الكنايات جملة من صور المرأة المقدّمة في قصة " حين سقطت قمر...!" ، فقد كانت " قمر"امرأة تعاني من زواجها التقليدي بأحد الشّيوخ هذا ما ولّد لديها نوعٍ من التمرّد وعدم الخضوع لقوانين القبيلة ولا لأعرافها فمارست الفاحشة مع سيِّدها " شعثان " .

ونجد الكناية أيضا في قوله : " ارْتَمَت ارْتِمَاءَ البَلاَء " [3]، كناية عن رغبة المرأة الجامحة التي جسّدها المفعول المطلق (ارتِمَاء) في الجنس الآخر ، وقد استخدم القاص هذه الكناية ليحدّد بدقة مدى تمرّد المرأة و مجونها في قصة " ظبية الصّحاري " .

أمّا في قصّة " أطلال منّاعة " فنجد الكناية قد تمثّلت في قوله : " تَعتَنِي بِنِسَائِهم إِلَى أَنْ سَلبَت أَلبَابَهم " [4]، فاللّب أو العقل لا يُسلب ولكنّ القاص استخدم هذه الصّفة ليبيّن مدى الخضوع للمرأة السّاحرة من قبل أهل القرية – قرية منّاعة – فكانت هذه الكناية تحمل في طيّاتها معنى الطّاعة والخضوع والتبعية .

---

[1] المصدر نفسه ،سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 42.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، حين سقطت قمر...! ، ص 42.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 67..

[4] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 82.

وكذلك في قوله : " أَفْلَتُّ مِن نَمرتِهَا الجَائِعَة " [1] ، كناية عن صفة اللّهفة والرّغبة في الجنس الآخر ، فكانت المرأة في هذه الصّورة جدّ متمرّدة ومنصاعة كل الانصياع لرغبتها الجامحة ، ولكنّ القاصّ لم يُلبِّ لها رغباتها ، فكانت صورة المرأة المعنوية في قصّة " أطلال مناعة " ساحرة و ماجنة تبيح كلّ محظور ، مانحة لنفسها الحرّية الكاملة في تملُّك الرّجل .

لقد قامت جملة الكنايات السّالفة الذِّكر بإبراز صورة المرأة المعنويّة التي لم يقم القاصّ بإبرازها مباشرة ، فاعتمد على أسلوب المجاز و الكناية حتى يتمّ تقريب صورة المرأة لذهن القارئ بصورة أوضح ، فكانت جملة النّماذج النّسويّة التي استخدمها القاص هي الحزينة والمتمرّدة ، والماجنة ، والسّاحرة ، وغيرها .

أمّا في قصّة " أسير الخشخاش " فنجد الكناية في قوله : " أَنَا يَا شَاعِري امرَأَة مِن جِرَاح " [2]، كناية عن صفة الحزن الشديد و المعاناة والحياة البائسة التي تعانيها وتكابدها هذه المرأة وحيدة ، فالمرأة في هذه القصّة تقوم بخداع زوجها و خيانته بممارستها البغاء وتعاطي المخدرات ورغبتها في العودة إلى سابق عهدها ، امرأة عفيفة صالحة قدّيسة كما يعتقدها زوجها، ولكنّها لم تستطع فتعاني ويلات خيانتها له .

أمّا في قصّة " بهتان امرأة " فنجد الكناية متمثّلة في قوله : " الزَّائِرَة مِن رَعَايا الشَّيطَان " [3]، وهذه كناية عن درجة مجون المرأة وحبّها لممارسة الرّذيلة ومخالفتها لأعراف القرية التي فيها ، فالشّيطان هو الذي خالف الله في السّجود لآدم (عليه السّلام) فكانت هذه الكناية أقرب لصورة المرأة السّالبة .

---

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أطلال منّاعة ، ص 85.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، أسير الخشخاش ، ص 08.

[3] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، بهتان امرأة ، ص 58.

وفي قصّة " ظبية الصّحاري " نجد الكناية تمثّلت في قوله : " البَسمَة المَاطِرَة " [1] ، كناية عن بشاشة المرأة فهي لم تكشّر يوما في وجه أحد ، فكانت هذه الصّورة تُنمّ عن صورة المرأة وطيبة قلبها وحنانها وعطفها ، فاكتفى القاص بذكره للفظ (المَاطِرَة) دليل على استمرارية بشاشتها وعدم توقّفها .

وفي قوله أيضا " بَسْمَتِها اليَتِيمَة " [2]، وهذه أيضا كناية عن شدّة حزن المرأة فرغم تبسّمها إلاّ أنّها تحمل في داخلها حزن عميق تحاول إخفائه بالتبسّم في وجه الآخرين ولكن بسمتها الضّعيفة تقوم بكشف ما وراءها من حزن .

[1] سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

[2] المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

2. صورة المرأة الفنيّة في الحديث :

لقد مزج " سعدي صبّاح " داخل مجموعته القصصيّة في تشكيل صورة المرأة بين القديم والحديث ، وذلك باعتماده على صورة المرأة في التّراث القديم وتشبيهها تارة بالغزالة وتارة أخرى بالظبيّة وأخرى بالقمر بأسلوب لغوي يعتمده أغلب الكتّاب المحدثين والمعاصرين .

وإذا ما عدنا إلى الدّراسة الآنفة " الأدوار الوظيفية للمرأة " نجد أنّ القاص قد استخدم نمطين متضادّين للمرأة ، النّمط الأوّل تمثّل في المرأة الموجبة ؛ أي المرأة الحنون والزّوجة الصّالحة ، أمّا النّمط الثاني فكان نمط المرأة السّالبة الذي تمثّل في صورة الزّوجة الخائنة والأم غير المبالية بأولادها .

ومن هنا نخلص إلى مجموعة من الصّفات المتضادّة والصّور المتباينة فيما بينها لتتشكل معنا نظرة الكاتب للمرأة ، ومن الثنائيات المتضادّة التي استعملها القاص لبناء مجموعته القصصيّة نذكر :

أ. البوح والكتمان :

اعتمد " سعدي صبّاح " في عنوانه على ثنائية " البوح والكتمان " وكانت مدخلا مشوّقا تجعل القارئ يرغب في البحث عن ماهية هذا البيت و السرّ من وراءه .

فإذا ما نظرنا إلى مصطلحي (سرّ ، مفتوح) ، نجد أن مصطلح (سرّ) يدل على الكتمان والإخفاء ، وأمّا مصطلح (مفتوح) فهو يدلّ على الكشف والإبانة كما ذكرنا سابقا في الدراسة التحليليّة للمجموعة القصصيّة ، لأنّ " سعدي صبّاح " هنا قد أبان للقارئ ما كان مخفيا وكشف عنه ألا وهو حياة الرّذيلة التي بلغت أطنابها في العالم العربي . وإذا عدنا إلى المجموعة القصصيّة وسلّطنا الضّوء على بعض النّماذج النّسويّة

المقدّمة ، نجد من بينهن من كنّ يحملن أسرارًا في دواخلهن وقاموا بكشفها إمّا للقاص باعتباره ذات فاعلة داخل العمل الإبداعي ، أو تمّ الكشف عنها بطريقة ما ، وأحيانا نجد أنّ السرّ يكمن لدى " سعدي صبّاح " و ذلك بحديثه إمّا عن حياته اليوميّة وأسرار أهله وبيته أو عن حياته الشخصيّة ورحلته مع عشيقته .

بالولوج في العمل الأدبي " سرّ البيت المفتوح " نجد في قصّة " أسير الخشخاش " أنّ " وردة " تعيش حياة الرّذيلة بممارستها للبغاء وتعاطيها للمخدّرات دون علم زوجها ،يعدّ سرّا من أسرار أحد البيوت في " مدينة الورود " ، و سرًّا من أسرار" وردة " الذي لم تلبث أن كشفت عنه لصديقها الذي روى أحداث القصّة .ومن هنا تجسّدت لنا ثنائية " البوحِ والكتمان " من خلال كشف " وردة " عن حياتها التّعيسة .

أمّا في أحداث قصّة " زوجتي الخشيبة " نجد أنّ زوجة البطل ، كانت هي الأخرى تخفي عن زوجها سرّا من أسرارها ، ألا وهو خيانته مع زملائها في العمل ، وقد كتمت الأمر عن زوجها إلى أن أُكتشِف أمرها صُدفة من طرف زوجها ، وهنا تمت عملية البوح وإفصاح الزّوجة لزوجها بفعلتها الشَنيعة .

أما في قصّة " على شفير الهاوية " فيكمن السرّ لدى القاص الذي يروي لنا أحد أسرار بيته ، فالإنسان لا يتحدّث كثيرًا عن أسرار بيته لأيٍّ أحد ، باعتبار أنّه أحد ركائز العلاقة الأسرية ، إلّا أنّ القاص قام بالكشف عن سرّ من أسرار بيته ، وهو دخول امرأة ساحرة تدعى " زليخة " إلى منزلهم ونشرت في وسطه الرّذيلة مع ابنتها " لؤلؤة " فيقوم القاص بكشف أمرها من خلال فعل الكتابة .

أمّا قصّة " سرّ البيت المفتوح " فالسرّ يكمن لدى " وحشِيّة " عن حياتها اليوميّة وكيف تقضي لياليها إلى جانب جثثٍ مات ضميرها الإنساني منذ الأزل ، من أجل الحفاظ على

بقاءها ، أما البوح فيكمن في تلك اللّحظة التي تجلس فيها إلى جانب القاص لتحكي له عن سبب دخولها هذا المجال ، فكانت لحظة جلوس " وحشيّة " إلى جانب صديقها هي لحظة الكشف والبوح بأسرارها ، فهذه اللّحظة هي الفاصل في حياة " وحشيّة " بين البوح والكتمان .

أما قصّة " بهتان امرأة " فالسرّ يكمن لدى المرأة التي قامت بخداع زملائها في العمل وتمويهها لهم بأنّها ابنة أخت صديقهم ، لكن الأمر لم يدم طويلا إلى أن كشف حاجب الباب أمرها للعمّال ، وأنّها ليست ابنة أخت صديقهم ، بل هي امرأة مخادعة تبحث عن فريسة تقوم باستغلالها من أجل مصالحها الشخصيّة .

ب. **العفّة والزّنا :**

تأرجحت المجموعة القصصيّة بين ثنائية الموجب و السّالب، بين العفّة والزّنا ، وإذا ما نظرنا لمواطن العفّة أو المرأة العفيفة نجدها في قصّة " سرّ البيت المفتوح " ، بحيث أنّ بطلة القصة "وحشيّة " امرأة عفيفة تزّوجت زواجا تقليديا فرضه عليها كبار الدّشرة ، ولكن في النّهاية اكتشفت أنّها زوجة لرجل عربيد ، ففرّت من عنده تاركة حياة الرّذيلة من ورائها.

وفي قصة" موت سعديّة " مثّلت شخصية " سعديّة " صورة المرأة العفيفة والزّوجة الصالحة ، رغم زواجها التقليدي من رجل أحبّ امرأة غيرها ، إلاّ أنّها أخلصت له في حياتها إلى أن فارقت زوجها ووارت التراب .

أما الزّنا فقد غلبت صفة المرأة الزّانية في المجموعة القصصيّة صورة المرأة العفيفة فنجدها في جميع النّماذج النّسوية المقدّمة من طرف " سعدي صبّاح " .

ففي قصّة " أسير الخشخاش " كانت بطلة القصّة " وردة " امرأة زانيّة تمارس الرّذيلة من أجل توفير مال الحشيشة التي تتعاطاها .

وكذلك في قصّة " زوجتي الخشيبة" كانت بطلة القصّة هي الأخرى تقوم بخيانة زوجها وتمارس الفاحشة مع زملائها في العمل من أجل المال .

وفي قصّة " على شفير الهاوية " التي تتحدّث عن امرأتان " زليخة " وابنتها " لؤلؤة " اللّتان تمارسان طقوس الرّذيلة ، بحيث قامتا بمراودة الفتى وأباه وإغوائهما إلاّ أنّ سكان القرية كانت نظرتهم للمرأة وابنتها نظرة العابد للمعبود فكانوا يتبرّكون بهن لجمالهن الأسطوري . وبقراءتنا المتأنيّة لهذه القصّة نجد واقع الحياة البائسة الذي أراد " سعدي صبّاح " إيصاله لنا ، هو حياة الرّذيلة والفسق ، والطّريق إلى الهاوية .

أمّا في قصّة " حين سقطت قمر...! " ، فقد كانت " قَمر " هي الأخرى تقوم بهذا العمل وخيانة زوجها مع سيّده .

وفي قصّة " سرّ البيت المفتوح " فقد كانت " وحشيّة " بطلة القصّة امرأة تُجسِّد معنى الطّهر والنّقاء إلى أن شهدت حياتها تحوّلا جذريّا ، وذلك حينما تزوّجت من عربيد ، فقد كان لهذا الأخير دورا في انحراف " وحشيّة "وتحوّلها من امرأة عفيفة إلى امرأة مومس.

اعترفت " وحشيّة " في آخر حديثها مع القاص أنّها أصبحت مومس بالإكراه ، ذلك لأنّ سجيّة " وحشية " لم تسمح لها بالرّضوخ لحياة البؤس والرّذيلة لو لم تدفعها فطرتها في الحفاظ على بقائها إلى ذلك .

أمّا في قصّة " بهتان امرأة " فكانت الشخصيّة البطلة هي الأخرى امرأة بغيّ مدعيّة أنّها تعيش مع خالها الأوحد الذي ليس لها من بعده أحد ، فقط ليتسنى لها وبكل حرّية ممارسة طقوسها .

وإذا ما عرّجنا إلى قصّة " ظبية الصّحاري " نجد صورة المرأة المحبّة والعاشقة التي وهبت نفسها لعشيقها ضاربة عادات المجتمع وتقاليده عرض الحائط غير مبالية بما يَنجرُّ عن هذا النوع من العلاقات من عواقب .

أمّا قصّة " أطلال منّاعة " فقد مثّلت صورة المرأة الزّانية ، تلك المرأة التي جاءت من أقاصي البلاد لتمارس البغاء مع بناتها حينما تركها زوجها وحيدة .

ج. **البراءة والمجون :**

من خلال الثنائيات السّالفة الذّكر تتشكّل لنا ثنائية أخرى تمثّل البراءة والمجون ، فكثيرا ما يصطحب مصطلح العفّة مصطلح البراءة وكذلك مصطلح الزّنا مع مصطلح المجون .

فصرّح " سعدي صباح " بهذين المصطلحين في مجموعته القصصيّة نحو قوله : " تَبًّا لِزَائِرَةٍ مَاجِنَة " [1]، وفي قوله أيضا عن البراءة : " انْحَنَيتُ إِجلَالاً لِبَرَاءتِهَا " [2]، فهذين المصطلحين ساعدا في بناء شخصية المرأة وتبيان نمطها .

فالبراءة مثّلتها كما سبق و ذكرنا المرأة العفيفة التي تارة تكون والدة القاص وأحيانا أخرى تكون زوجته ، والتي نجدها في الشخصيات الآتية :" سعديّة " في قصّة " موت سعديّة " التي هي زوجة القاص ، وتمثّلت أيضا في كلّ أمٍّ داخل العمل الإبداعي، فنجدها في قصّة " على شفير الهاوية " هذه الأم التي زوجها يغازل المرأة الخونية " زليخة " أمامها ولكن لبراءتها لم تردعه عن فعل ذلك ، بل لم ترى في ذلك مانع يمنعه .

---

[1]سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، بهتان امرأة ، ص 58.

[2]المصدر نفسه ، سعدي صبّاح : سرّ البيت المفتوح ، ظبية الصّحاري ، ص 65.

أمّا عن صورة المرأة الماجِنة فقد تجسَّدت في كلِّ امرأة مارسَت الفاحشة في المجموعة القصصيّة وكانت محوَرُها ، بالإضافة إلى بعض النّسوة اللّواتي ذكرهن القاص ذكرا ثانويا، مثل النّساء اللّواتي مرّ بهن ، في قصّة " ظبية الصّحاري " فقد كنّ سافرات الوجه والشّعر في إحدى الأحياء الشّعبية ، ونساء الدّشرة في قصّة " أطلال منّاعة " اللّواتي تمرّدن على طبيعتهن وأصبحن يمارسن الفاحشة أمام رجال القبيلة مع المشعوذة وبناتها .

د . **الصدق والكذب :**

كان لهذه الثّنائية دورًا بارزًا ساعد القارئ على كشف بعض خبايا وأسرار المرأة والدّوافع الخفيّة التي تجعل المرأة إمّا أن تكون امرأة صادقة أو امرأة كاذبة .

وإذا ما نظرنا لصفة الصّدق التي طرحها " سعدي صبّاح " في مجموعته القصصيّة نجدها في كلّ من :

قصّة " أسير الخشخاش " بحيث أنّ " وردة " حينما جلست إلى جانب القاص وبدأت تحكي له عن حياتها البائسة ومعاناتها فكانت رغبتها الصّادقة في العودة إلى سابق عهدها امرأة طاهرة عفيفة تمثّل مدى صدقها مع ذاتها ومع القاص .

وقصّة " سرّ البيت المفتوح " نلتمس صورة المرأة الصّادقة في " وحشيّة " والظّروف المعيشيّة التي جعلت منها مومس بالإكراه .

وفي كلتا القصّتين نلتمس صفة المرأة الصادقة من خلال الاعترافات التي قدّمنها عن حياتهن وأسرارهن الدّفينة .

أمّا في قصّة " ظبية الصّحاري " فالمرأة قد اعترفت لعشيقها بحبّها الصّادق له وأنّه جزء لا يتجزّأ من حياتها ، إلاّ أنّ القاص لم يرضخ لرغباتها وشهواتها الجنسيّة التي اعتبرتها الرّابط أو العلاقة المقدّسة التي تجمعها بعشيقها .

و في قصّة " أطلال منّاعة " حينما راودت ابنة الخونية القاص ليس تلبية لرغبة جنسيّة جامحة وإنّما حبّا فيه وطمعا في أن يكون جزءًا من قصة حبّها ، رغم أنّه لم ينحني لها إلاّ أنّها بقيت على عهدها إلى أن التقيا من جديد بعد مرور سنين على فراقهما معتقدا أنّها إحدى المعجبات بأعماله الإبداعيّة واعترفت له أنّها ابنة الخونيّة من قرية" منّاعة " .

أمّا صفة الكذب أو المرأة الكاذبة فنجدها في قصّة " أسير الخشخاش " ، " فوردة " تقوم بإخفاء أمر ممارستها الرّذيلة وتعاطيها حشيشة الخشخاش عن زوجها مدعيّة أنّها امرأة طاهرة عفيفة إلاّ أنّها في قرارة نفسها ترغب بالعودة إلى سابق عهدها ، وكان سبب إقدامها على الكذب هو خشية هجر زوجها لها .

وفي قصّة " زوجتي الخشيبة " فبطلة القصّة تقوم بإخفاء أمر خيانتها لزوجها مع زملائها في العمل مدعيّة أنّها امرأة طاهرة إلى أن يكشف زوجها أمرها .

وفي قصّة " بهتان امرأة " هذه المرأة تقوم بالكذب على زملاء عشيقها وتخبرهم أنّها تقوم مع خالها ، إلى أن يكشف الحاجب أمرها ، في حفل صغير أقامه صديقهم .

ومن هنا نجد أنّ صفة الكذب قد تمثّلت في كلّ امرأة ماجنة تمارس الرّذيلة بإخفاء الأمر عن زوجها أو عن النّاس خشيّة إلحاق العار بنفسها .

هـ. الوفاء والخيانة :

تعتبر هذه الثنائية إحدى الركائز التي من خلالها بنى " سعدي صبّاح " صورة المرأة ، فصفة الوفاء نجدها في كلّ امرأة أو زوجة أو أم أخلصت في حبّها إمّا لعشيقها أو زوجها أو لأبنائها .

ففي قصّة " على شفير الهاوية " كانت والدة الفتى البريئة والسّاذجة في نظر زوجها وفيّة ومخلصة رغم خيانة زوجها لها مع الخونيّة " زليخة " .

أمّا في قصّة " موت سعديّة " فقد كانت " سعديّة " رغم زواجها التقليدي من رجل أحبّ غيرها إلّا أنّها لم تجحف في حقّه بل أحبّته بصدق وأخلصت له وحفظت له عرضه وصانت له شرفه إلى أن وافتها المنيّة .

وقصّة " ظبية الصّحاري " امرأة شُغِفت حبّا بالقاص ولم تتوانى و لو للحظة عن أداء واجباتها اتجاه عشيقها وأخلصت له ، فقد كانت له كالزّوجة رغم عدم زواجها به .

أمّا قصّة أطلال منّاعة " فابنة الخونيّة بقيت على عهدها في حبّ فتى الدّشرة ، وأصبحت من أشدّ الفتيات إعجابا به وبأعماله الأدبيّة إلى أن اعترفت له بذلك .

أمّا المرأة الخائنة فقد مثلتها كلّ امرأة قامت بممارسة طقوس الرّذيلة دون علم زوجها ونجد هذا النّموذج في كلّ من القصص الآتية :

" أسير الخشخاش "، " زوجتي الخشيبة " و " حين سقطت قمر...! " .

ولكل من هذه النّسوة قصّة و دافع دفع بهن لفعل ذلك ففي قصّة " أسير الخشخاش" ، دفعها لذلك تلك الحشيشة التي كانت تتعاطاها ، أما قصّة " زوجتي الخشيبة " فكان دافع حبّ المال وراء ذلك ، أمّا " قمر " في قصّة " حين سقطت قمر " فزواجها

الفاشل من إحدى شيوخ القبيلة جعلها تخونه مع سيّده " شعثان " من أجل الحصول على المتعة التي لم تنلها من شيخ طاعن في السنّ .

د. **السّعادة والحزن :**

إذا عدنا للمجموعة القصصيّة وتأمّلنا هذه الثّنائية نجد أنّها قد اختلفت من حدث لآخر باختلاف ، الأسباب المؤديّة لذلك فنجد أنّ موضوع السّعادة الذيطرحه " سعدي صباح " لا يتمثّل في تلك الحياة المترفة وسط ضجيج المدينة وإنّما في تلك الرّاحة والطمأنينة والحفلات والأعراس التي تقام في البادية باعتبار أنّ البادية هي أصالة الأجداد وتراث كل من يعتزّ بوطنه وعاداته وتقاليده وأعرافه المتوارثة من جيل لآخر .

فنجد في قصّة " على شفير الهاوية " أنّ صورة السّعادة تجسّدت في الحفلات والأعراس التي أقامتها " زليخة " وابنتها " لؤلؤة " في بيت القاص ، فالرّقص والغناء والمرح والسّمر مع الأهل والأصدقاء والأقارب يمثل تلك السّعادة النابعة من الألفة بينهم .

وفي قصّة " حين سقطت قمر...! " فقد كانت سعادة " قمر " التي وجدتها بعد زمن من زواج فاشل إلى جانب رجل غريب ، الذي أعادها إلى حياة الصّبا وريعان الشّباب ، رغم أنّ هذه السّعادة كانت مجردة لحظة غريزية إلاّ أنّ " قمر " لم تستطع أن تتخلّى عن كذلك ، لأنّها وجدت في " شعثان " سعادتها الأبديّة .

إلى جانب ذلك نجد أنّ " سعديّة " في قصّة " موت سعديّة " قد أحست إلى جانب زوجها بنوع من السّعادة والطمأنينة ، لأنّه لم يجرح شعورها ولم يذلّها ، وعاملها باحترام ونظرتها له كلها محبّة .رغم زواجها التقليدي الذي لم تستطع أن تجني منه ثمار المحبّة لأنّ زوجها رزق حبّ " ربيحة " .

وفي قصّة " ظبية الصّحاري " نجد أنّ بطلة القصّة قد عاشت لحظات جميلة إلى جانب عشيقها ، رغم أنّ تلك اللّحظات لم تكن سوى نزوة عابرة ، ومع ذلك بقيت الفتاة متمسّكة بهذا النوع من العلاقات رافضة الابتعاد عنه ، لأنّها ترى أنّ الحبّ والجسد وجهان لعملة واحدة .

أمّا قصّة " أطلال منّاعة " منحت الخونيّة وبناتها لأهل الدّشرة السّعادة ، وذلك بإقامة كل ليلة خميس حفلات ماجنة ، مبيحة فيها كلّ محظور ، متمرّدة عن عادات منّاعة ، وتقاليدها ، مخالفة لتلك الأعراف المقدّسة ، تاركة لفتيات الدّشرة الحرّية المطلقة في اختيار أزواجهن ومراودتهنّ لهم أمام الملأ ، جاعلة من البخور و الرّوينة والرّقص والغناء سببا في صنع السّعادة بين أهل الدّشرة .

أمّا إذا نظرنا لموضوع (الحزن) فالمجموعة القصصيّة لم تخلوا من هذا الموضوع لأنّ " سعدي صبّاح " قد طرحه ليبيّن للقارئ قسوة الحياة على المرأة وليبيّن له مواطن فشل المجتمع الذكوري ، الذي عانت منه ، المرأة في القديم ولا تزال كذلك في بعض المجتمعات رغم التّقدم الحضاري .

ففي قصّة " أسير الخشخاش " نجد أنّ " وردة " تعاني من حياتها البائسة تجلس حزينة على تلّه تحكي للقاص سبب حزنها وشوقها لحياتها الطبيعية إلى جانب زوجها قبل أن تذوق طعم الخيانة الزوجيّة وطريق الانحراف في تعاطيها للممنوعات .

وهذه الشخصيّة حينما تقوم بقصِّ مآسيها تجعل القارئ يشعر بمدى حزنها ومعاناتها ويتعاطف معها ، فيترك القاص الباب مفتوح أمام القارئ ليقوم بإيجاد حلّ" لوردة " ويجعلها تقلع عما أدمنته وفي قصّة " حين سقطت قمر " نجد أنّ قمر تعيش حياة بائسة مع شيخ طاعن في السّن ، فكانت هذه الحياة الضنكة التي لا تقوم سوى على رعي الغنم

وإعداد المعالف وجلب الماء والحطب وإعداد الطعام ، والأكثر من ذلك تزويجها بالإكراه بمن يريد أهل القبيلة لا بمن تريد هي،وفرضوا عليها الزّواج من شيخ ، فكان كلّ هذا أسباب مباشرة في حزن " قمر " ، فقامت تبحث عن مغانم السّعادة بين أحضان رجل غريب .

أما قصّة " سرّ البيت المفتوح " فنجد أنّ " وحشيّة " قد عانت كثيرا من زواجها الفاشل ، الذي اكتشفت في النّهاية أنّها زوجة لعربيد من أرذل العرابدة ، جعلها ذليلة أمام خلاّنه تمرّر أقداح الخمر بينهم ، فكانت هذه الحياة قاسيّة معها خاصّة ، وحينما هربت من عنده لتجد نفسها أمام بيت الرّذيلة في " مدينة الورود "الذي لم تجد مفرّا منه سوى الانحناء لرغبة القدر على كسب قوت يومها وإيجاد مكان تأوي إليه قبل أن تلتهما ذئاب البشر ، فكانت شخصية " وحشية " نموذج عن المرأة التي يكون زواجها الفاشل سببا مباشرا في انحرافها ومعاناتها وحزنها وظلم البشر لها .

خاتمة

لقد أسفر هذا البحث الموسوم بـ : " صورة المرأة في المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " لـ : " سعدي صبّاح " – نماذج مختارة – مجموعة من النتائج نذكر منها :

- كانت المرأة في العصور الغابرة تعاني من معاملة شقيقها الرجل وتهميشه لها ، بسلبه حرّيتها وحقوقها المدنية والطبيعية ، فكانت في أغلب هذه المجتمعات بمنزلة العبد .
- بمجيء الدّين المسيحي الجديد أعاد السيّد المسيح (عليه السلام) للمرأة كافة حقوقها و اعتبارها وقد امتثل له كل من تبعه ، ولكن بعدما حُرِّفت هذه الديانة عاشت المرأة المسيحية مذلولة مهانة سُنّت ضِدَّها قوانين حرمتها من جميع الحقوق .
- عانت المرأة في العصر الجاهلي من قانون الوأد الذي كان يطبّق عليها خشية إلحاق العار بهم ، ولمّا جاء الإسلام أنار لها طريقها ورسم لها حدود حقوقها و واجباتها فكان لها من الحقوق ما عليها من الواجبات .
- بقيت المرأة حتى العصر العباسي مُكرّمة حتى أنّها نالت نصيبها من العلم والأدب ثم تراجعت هذه المكانة في عصر الانحطاط ولزمت بيتها أغلب الأحيان .
- ظهرت في القرن العشرين تيارات فكرية في المشرق العربي تُنادي بحرّية المرأة ومساواتها بالرّجل في كافة الحقوق من بينها حق التّعليم والعمل امتثالا بالمرأة الغربية ، فنتج عن هذا صراع فكري بين محافظ لعادات السّلف ومتحرّر مُنصاع وراء تقدّم الغرب .
- كان لدعاة السفور والضلالة سببًا في شيوع الفاحشة والخلاعة في بعض المجتمعات خاصة في المشرق العربي ، رغم ما جاء به الإسلام من تعاليم وحقوق منحها للمرأة . إلا أنّ هؤلاء لم يكتفوا بهذه التعاليم وراحوا يقلّدون الغرب في عاداتهم ، ففي نظرهم أن تَطوُر الأمّة يكون بتحرّر المرأة وسفورها .
- وقعت مسائل المرأة في العصر الحديث بين المطرقة والسّندان ؛ أي بين مؤيد لتحرّر المرأة وخروجها للعمل وطلب العلم وبين معارض محافظ لعادات السلف .

- من خلال المجموعة القصصيّة نجد أنّ جميع القصص تتحدّث على البداوة والصحراء والطبيعة هذا وإن دلّ فإنّه يدل على أنّ الكاتب ابن بيئته ، فقد استقى مادته من الواقع المعاش والراهن وذلك ليبين مواطن النقص في المجتمع ومحاولة منه تغطية بعض الثغرات في المجتمع الذكوري الذي عانت منه المرأة .
- إن ما يميّز المجموعة القصصيّة هو أنّها تسرد في كلّ قصة سرَّ بيتٍ من بيوت الدّشرة التي نشأ فيها الكاتب وفي كلّ قصة منها نجد أنّه قد تناول عنصر المرأة بصورة مكثّفة .
- رغم اختلاف أحداث القصص فيما بينها إلاّ أنّها غالبًا ما تؤول إلى نتيجة واحدة وهي ممارسة المرأة للفاحشة إمّا في منزلها أو في بيتٍ من بيوت الفاحشة والرذيلة .
- تعدّدت أدوار المرأة داخل المجموعة القصصيّة ، فكانت منهن المتعلّمة والعاملة والمرأة الأم بنمطيها الحنون وغير المبالية بأولادها وكذلك المرأة الزّوجة بنمطيها الزوجة المخلصة والوفية لزوجها والخائنة التي كثيرا ما يؤول حالها لممارسة البغاء .
- اعتمد " سعدي صبّاح " في تصويره للمرأة على التُراث ، بحيث نجد أنّ المجموعة القصصيّة قد حفلت بالصفات والتّشبيهات الحسيّة التي اعتمدها السَلف في تصوير صورة المرأة وتقريبها لذهن القارئ إلاّ أنّه لم يُغفل استعمال المُحدَثين لصورة المرأة فكانت منهن المتمرّدة الماجنة والبريئة العفيفة .
- إذا ما عدنا للمجموعة القصصيّة نجد أنّ الكاتب يعارض فكرة المجتمع الذكوري الذي عانت منه المرأة والذي تجسّد في فرض الزّواج على المرأة بمن يحب الأهل لا بمن تريد هي ومنعها من حق التّعليم ، فكان بحلّه و ترحاله من بيت لآخر أو من قصّة لأخرى يجسد لنا هذه المعاناة .

وفي الأخير أقول إن كنت وفّقت فذلك من الله رب العالمين ، وإن كان غير ذلك فإنّه مني ، وإنني أخلصت النية وبذلت الجهد ولله الحمد .

ملحق

سعدي صباح
سر البيت المفتوح

1. نبذة عن حياة القاص الجزائري " سعدي صبّاح " :

ولد القاص " سعدي صبّاح " بعين وسّارة في ولاية الجلفة سنة 1955م ، ترعرع في أسرة بسيطة ومحافظة كانت لا تهتم إلا بالفلاحة والماشيّة ، درس المراحل الابتدائية بعين وسارة . فنال شهادة المرحلة الابتدائية سنة 1970م ، وشهادة الأهليّة سنة 1975 م ، أمّا شهادة الثقافة العامّة والمهنية فكانت سنة 1982م ، وشهادة الكفاءة العليا 1985م .

أخذ من عائلته الأخلاق الفاضلة وحبَّ الأرض والباديّة وحبَّ الآخر وتقبُّله ، أمّا اكتساب المعرفة فكانت بالصُّدفة والعِصامية بعد مغادرته من الرّيف إلى المدينة . كانت البداية الأولى له في الشّعر الشّعبي ثم الخواطر القصصيّة ، انطلاقا من الذّاتيّة إلى أن خرج منها للولوج إلى عالم القصّة القصيرة مع بداية التسعينات . سكنته البوادي وبقي وفيّا لها و وظّفها في كتاباته ، وذكرها داخل الجزائر وخارجها فخرا واعتزازا بالوطن .

من أهمّ أعماله المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " ، الحائزة على جائزة الاستحقاق ناجي نعمان الدّولية ، سنة 2012 م بلبنان ، احتوت على مجموعة من القصص منها : " أسير الخشخاش " التي نالت الجائزة الوطنيّة على هامش النّدوة الفكريّة بكونين ولاية الوادي في سنة 2008م ، وقصّة " على شفير الهاوية " و قد حازت على الجائزة الوطنيّة في وهران سنة 2011 م ، أما قصّة " أطلال مناعة " ففازت هي الأخرى بالمسابقة الوطنية المنظمة من طرف مجلة (أقلام) . وقد على مجموعة من القصص نذكر منها : (على شفير الهاوية ، حين سقطت قمر ، سر البيت المفتوح ، الأم الرؤوم ، ظبية الصحاري ، أطلال مناعة ...)

أمّا المجموعة القصصيّة الأولى الموسومة بـ " عُرس الشيطَان " فقد نالت الجائزة الوطنيّة بولاية الجلفة تحت إشراف السيِّد الوالي سنة 2006 م ، و جائزة القلم الذهبي

بالشروق و الجائزة الأولى و طبعت على نفقة مديرية دار الثقافة بالجلفة تحت الرعاية السّامية للسيّد الوالي وقد تضمّنت مجموعة من القصص منها :

1. الحَبقة التي تطِير .
2. الخَطيئَة.
3. الصّاعقة .
4. الموت (وقد نالت هذه القصة الجائزة الوطنية في المسابقة الوطنية الكبرى في القصة القصيرة).
5. الهُروب إلى الموت .
6. الوسام .
7. ثَمنُ الشّموخِ .
8. حينَ ترحل .
9. تكريم العَرابدة .
10. الخِيانة .
11. عُرس الخريف .
12. عُرس الشّيطان

تُرجِمت أعماله إلى ثلاث لغات الفرنسيّة ، الانجليزيّة و الرومانيّة من قبل المترجم الموهوب " منير مزيد " برومانيا .

له عدّة أعمال من بينها : الحَبيبَة على عُلبة هُقار ، من شَبق الرَّبيع ، نِهاية رَجل ، هذا قلَمي ، وراءَ التّيهِ امرأَة ، وهل هِي ذِئبه ، يومُ الزّفَاف ، أشواك السَّادي .

وأخرى نُشرَت في الجرائد والمجلات ولم تطبع : شَاعر يقطِف زهرة ، سَراب الزُّرقة ، والاستِشراف ، خُسوف القَمر ، طبيبتي ترأَف بي ، الهلال ، ذابت شمعتي في المَطر .

احتضنته كلّ الجرائد الوطنية منها : الجمهورية ، الجيل ، العالم السّياسي ، أسبوعية المجاهد ، الغروب ، البلاد ، الموعد ، الأصيل ، الفجر ، صوت الأحرار ، الشّعب ، مجلة الثّقافة ، ومجلة ، آمال وغيرها ...

أُدرِجت بعض أعماله في كتيّب بعنوان " نُصوص من الجلفة " . له منشورات يعرفها القارئ الجزائري من خلال آليات الأعلام المكتوبة ، و أعمال يعرفها القارئ العربي من خلال موقع القصّة العَربيّة وموقع القصّة السُوريّة ، موقع الذّاكرة الثَّقافية ومواقع أخرى .

2. ملخّص بعض النّماذج القصصيّة من " سر البيت المفتوح " :

أ." **أسير الخشخاش** " : تتحدّث القصّة عن يوم من يوميات الكاتب حينما كان في مدينة الورود " البليدة " ، وبينما كان يسرح وحيدًا بين ثنايا المدينة وأحيائها ومراعيها ، متأمّلا قدرة الخالق في كونه العظيم ، تتراءى له مجموعة من البنات " الحَسنَاوَات ... وَهُنّ يَحبِكنَ أَجمَل الزُهُور مِن كتَّى و خُزامَى ، ومن بينهن فتاة تجلس وتحاكي وحدتها ، اقترب منها وسألها عن سرّ خلوتها وإن كان الغروب سببا في ذلك ، وبين أخذ وردّ في الحديث علِم أن اسمها " وردة " ، وأنّ سبب حزنها هو خيانتها لزوجها بَعدَ كُلِّ غُرُوب مَع مُومِسَات ، فسألها عن السّبب الذي جعلها تدخل إلى هذا المجال ، وإن كانت إحدى صديقاتها هي من جرّتها لطريق الهاوية ، فردّت عليه قائلة : هِيَ لَيسَت بَشَرِيَة يَا شَاعِرِي إِنَّهَا حَشِيشَة . هذه الحشيشة كانت سببًا في دخول هذه المرأة إلى حياة الرّذيلة والمهانة ، فقط من أجل هذه النّبتة أصبحت أسيرة الخشخاش ، وأسيرة الزّنا .

ب." **زوجتي الخشيبة** " : تتحدّث القصّة عن معاناة رجل مع زوجته ورفْضِها له ، فرغم ما فعله من أجلها تظلّ كئيبة حزينة معه ، والأكثر من ذلك هي امرأة مُتعجرفة ، وكان كلّما حاول أن يجاملها أو يحدّثها فإنّها لا تحدّثه سوى عن الرّاتب والزّيادة في الأجور ولا تضحك أبدًا ، ومع ذلك منحها حرّيتها في التصرّف ، وفي يوم أراد أخذ المفاتيح من عندها لارتداء بذلته ، فذهب إلى المدرسة حيث تعمل ، بحث عنها في الحُجرة التي تدرِّس فيها ولكنّه لم يجدها ، اتّجه إلى القاعة الكبيرة فلاحت له امرأة بين مجموعة من الرّجال تقهقه ، حينما تأمّلها مليا وجد أنّها زوجته . دُهش كلاهما وتوقّفت عن الضّحك ، إلاّ أنّه طلب منها مُستهتِرا أن تواصل الضّحك . فهذه المرأة نزعت عن نفسها حجاب العفّة وسفرت عن شعرها وسط مجموعة من الرّجال وصفهم بـ " رُوَّاد الضَّحِك ، فما إن هَمّ هؤلاء بالرّحيل استوقفهم ليشاهدوا نهاية المسرحيّة ، مسرحيّة زواج كاذب بطلته امرأة خشيبة ، وقال لها أمامهم : بِكُلِّ لُغَاتِ العَالَم أنتِ طَليقَة .

ج." **على شفير الهاوية** " : تتحدّث القصّة عن حياة الكاتب بعدما ترك مقاعد الدّراسة وعاد إلى دياره ، رحبّت به أمّه ، واستقبلته أجمل استقبال وكانت بالمنزل امرأة غريبة فعرّفته بها ، وأخبرته أنّها صديقتها تدعى " زليخة " ولها ابنة اسمها " لؤلؤة "، كانت "زليخة" امرأة جميلة جدّا ومرابطة جاءت من الشّرق ، تعرّفت على والد الكاتب في القبّة الخضراء ، وبعدها أصبحت من أهل الدّار ، كانت " زليخة " امرأة إلى جانب جمالها ذكية جدا فكانت " تَعرِف كَيفَ تَتَفَاعَل مَع مَا يَصدُر مِن الرّجَالة بِفِطنَة و ذَكَاء ، حتى أنّها تشجّع الفتيات على الفحشاء والابتذال ولا تمانع لغة العيون بين رجل وامرأة .

ولم تلبث طويلا حتى حوّلت المنزل إلى وكرٍ لممارسة طقوس الرّذيلة مع رقص ومجون وغناء ، اندهش الكاتب مما تراه عيناه فنأى بعيدا عن هؤلاء إلاّ أنّ الابنة " لؤلؤة "، راودته عن نفسه لأنّه شغفها حبّا ، وأجبرته بفتنتها وكيدها على الرّقص معها ، وما إن تفطّن للأمر وجد نفسه أنّ الشّيطان حاول أن يستدرجه إلى شفير هاوية الرّذيلة والمجون .

د." **حين سقطت قمر...!** " : تتحدث القصّة عن رجل يدعى " شعثان" و زوجته المريضة التي تَتَحَدَّى فُقدَانَ البَصَر !، كان يفكّر في البحث عن راعي يرعي له القطيع والمراعي ، ولم يجد سوى ذلك الشّيخ الذي كان يرعى معه في أحد الأيام لأحد الأعيان ، امتطى فرسه إليه وأخبره أنّه يريد راعي للغنم ، وافق الشّيخ على طلبه ، مقابل ألف دينار ، وأخذ معه زوجته " قمر" التي تزّوجته بالإكراه وفق عادات القبيلة وتقاليدها . أصبحت " قمر" خادمة " لشعثان" وزوجته الضّريرة ، لم تمكث " قمر" طويلا ، إلى أن طلبها مقابل قرط من عسجد فوافقت دون تردّد ففي هذه اللّحظة سقط القمر من عليائه إلى أحضان الرّذيلة ، ولم تُراعي في هذا للعادات التي أجحفت في حقّها وظلمتها بتزويجها لشيخ طاعن في السّن منتظرة القرط الذي كان وراء سقوط " قمر " .

هـ." **سرّ البيت المفتوح** " : تتحدّث هذه القصّة عن حياة الكاتب حينما كان صغيرا تعرّف على فتاة من بنات الرّحل اسمها " وحشيّة " ، أحبّها وتعلّق بها ، ولكن شاءت

الأقدار أن يفترقا وتهزّ قافلة " وحشيّة " رحالها . مرّت السّنين وبلغ الكاتب أشدّه هزّ رحاله وغادر الدّشرة التي قضى فيها كلّ طفولته ، وفي آخر محطة وجد نفسه في شارع طويل مليء بالأبواب المفتوحة ، ونساء سافرات .. مُتجمِّلات .. باسِمات .. كان الحي وكرًا للرّذيلة يَعرِضنَ مفَاتِنَهُن لأهلِ الهَوى والشَّهَوات . لكنّ الكاتب رحل عنهن مع أصدقائه بحثا عن مكان للمبيت ، فوجد مكان في إحدى الأحياء تعرّف هناك بفتاة اسمها " خيرة " تُقيم في ذلك الحي الشّعبي ، حكت له عن سبب مجيئها إلى هذا المكان ، وأنّها كانت فتاة من فتيات الرّحل زوّجها والدها بالإكراه ، ثم اكتشفت أنّ زوجها زيرَ نِسَاءٍ وعَربِيد مِن أَرذَل العَرَابِدة ، فهربت ولم تعد إلى البيت لأنّ والدها كانت له زوجة ثانية فخشِيت كلامها وكلام الناس عنها ، و أدركت أنّها لن تستقر فوجدت نفسها في " مدينة الورود" ، ودلّتها فتاة على المكان وأصبحت تعمل " شِبهَ مُومِس بِالإكْرَاه سألها الكاتب عن اسمها الحقيقي فقالت : " وحشية " فأيقن أنّه لَا تُوجَد امرَأَة تُمَارِس الرَّذِيلَة عَلى السَّلِيقَة مِثلَ الشِّعرِ والمُوسِيقَى .

و." **موت سعدية** " : تتحدّث القصّة عن موت زوجة الكاتب التي تزوّجها مرغما بالإكراه بحجّة أعراف باليّة ، لكنّه رضيها زوجة له ، شعر بحزن عميق اتجاهها ، لكنه ما لبث أن تذكّر حبّه الأول " ربيحة " والتي اعتبرت أنّ الحبّ الذي لا ينتهي بالزّواج خيانة عظمى ، رغم وفاء زوجته وإخلاصها له لم تستطع أن تنسه حبّه الأوّل " رُبيحة " .

ز." **بهتان امرأة** " : تتحدّث القصّة عن حفل توديع صغير أقامه صديق الكاتب الذي كان سيرحل عن دياره في فصلِ الخريف ، جمع أصدقاؤه كلّهم وقامت امرأة غجرية بصنع الشّاي للحاضرين ، ولكن مع غياب صاحب الحفل ، استغلّت الفرصة وبدأت تتطّفل على أحدهم بالأسئلة ، بسردها لهم قصّة خالها الأوحد و والدها المتوفى ، فضجّ الحاضرون وأرادوا التخلّص منها ولكن بتتبع خطّة " صالح " صديق الكاتب ويستعينوا في ذلك بالحاجب ، فأخبر الكاتب الحاجب أنّه يريد التخلّص من ابنة أخت صديقهم ولكن

من دون إيذاء مشاعرها فِي غَيبَةِ رَجُل تَربِطُه بِه مَحَبّة السِنِين ، ولكن الحاجب خجل من الحاضرين وأخبرهم أنّ الفتاة ليست ابنة أخت صديقهم بل أنّها فتاة من رعايا الشيطان ، وقال لهم أنّ الرّجل الذي كانت تقضي معه النّهار خلف الجدران والشّيطان ثالثهما لم تعرفه قط . وعلموا أنّها كانت تكذب بشأن قصّة خالها وموت والدها تبريرًا لجريمتها ، ولكن المرأة لم تلبث طويلا إلى أن عادت أدراجها تبحث عن ضحيّة أخرى توهمها ببهتانها .

ح." **ظبية الصّحاري** " : تتحدّث القصّة عن رحلة الكاتب مع صديقته التي أحبّته كانت الرّحلة طويلة جدا مكثوا في إحدى القاعات للرّاحة ، وكان بالقاعة نساء شبه سافرات ورجال يتبادلن الحديث ، وحينما سألته الفتاة مقابل ماذا يفعلون هذا فقال لها : مُقَابِل المُتعَة ، واستمرّت رحلتهما إلى أن منحته نفسها بنفسها ، إلاّ أنّه فيما بعد جرّته خيوط الخطيئة إلى الندم ، وحينما أرادته مرّة ثانية لم يستجب لها وأعادها إلى ديارها رغمًا عنها والدموع تملأ مُقلتيها ، ولكن مع الزّمن أراد الكاتب استرجاع حبيبته لتكون له حبيبة إلى الأبد .

ط. " **أطلال منّاعة** " : تتحدّث القصّة عن فتى يعيش بقرية " منّاعة " حينما تخرّج من الكليّة و عاد إلى الدّشرة ، و في أحد الأيّام حطّت امرأة رحالها بقريتهم ، وكانت امرأة جميلة جدا لها بنات ، قيل عنها أنّ امرأة من الجنّ أدمنَت زوجها فأخذته منها ، فقامت هي الأخرى وتزّوجت من جنّي لهم ، وكانت لها حكمة أنّها تطرد الجنّ ومفتاح العوانس بيدها ، و راقصة و مغنيّة تبيح كلَّ محظور ، أعطت للعوانس حرّيتهن المُطلقة . لكنّ الفتى لم يلبث إلى أن أحبّها بجنون ، وكان يظنّ أنّها هي الأخرى تبادله الحبّ ، كانت تقيم كلّ عشيّة خميس طقوسًا غريبة فتغرس خنجرًا في بطنها وتنادي عمّن تريد الزّواج ، فهرعت ابنتها وأصرّت على غواية الفتى و تأجّجت شهوتها الأمّارة بالرّذيلة ، وبلهفة غير مبالية أخذت في إثارته ولكنّه فرّ منها واختفى ، مرّ الزّمن وأصبح كاتبًا

تعرّف على إحدى المعجبات به حدّ الجنون من طرف أحد أصدقائه ، واستمرّ اللّقاء بينهما . إلى أن جاء اليوم الذي اكترى فيه غرفة لهما ، بعد أن قضيا النّهار معا أخذها إلى قريّة " منّاعة " ليُعرِّفها على ملاعب الطّفولة . لكن وجهها تهَّجم وبكت حسرةً على ماضيها فسألها عن السّبب فقالت : هذه أطلال أجدادِي ، وأنّها الطّفلة التي كانت برفقةِ والدتها الخونيّة كبُرت وقرعت أبواب الجامعة .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص.**

قائمة المصادر :

1- إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج4 ، ط4 ، 1990.

2-أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القيشري النيسابوري (204هـ-261هـ)، صحيح مسلم ، اعتنى به محمد عبد الحليم ، مكتبة الصفا، القاهرة ، مصر ، ج2 ، ط1 ، 2004.

3- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، ط1 ، 2000 .

4-السيّد سابق : فقه السنة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، 2001.

5- الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، ط1 ، 1970 ،

6-جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، فتحي عبد الرحمان حجازي : مكتبة العبيكة ، الرياض ، السعودية ، ج1 ، ج2 ، ج4 ، ط1 ، 1998 .

7-سعدي صبّاح : سر البيت المفتوح ، دار علي بن زيد ، بسكرة ، الجزائر ، ط1 ، 2014.

المراجع :

8-باسمة كيّال : تطور المرأة عبر التاريخ ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، لبنان ، (د ط) ، 1987.

9-ركان الصفدي : الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، (د ط) ، 2011 .

10- صالح مفقودة : المرأة في الرواية الجزائرية ، قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ط2 ، 2009.

11- عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، (د ط) ، (د ت) .

12- كمال عبد اللّطيف : المرأة في الفكر العربي المعاصر (نحو توسيع قيم التحرر) ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللّاذقية ، سوريا ، ط1 ، 2000.

13- مريم نور الدين فضل الله : المرأة في ظل الإسلام ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د ط) ، (د ت) .

14- محمد إسماعيل علي المقدّم : عودة الحجاب (معركة الحجاب والسفور) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ج1 ، ط10 ، 2006.

15- محمد إسماعيل علي المقدّم : عودة الحجاب (المرأة بين تكريم الإسلام و إهانة الجاهلية) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ج2 ، ط10 ، 2006 .

16- محمد الغزالي ، محمد سعيد طنطاوي ، أحمد عمر هاشم : المرأة في الإسلام ، مطبوعات أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، (د ط) ، (د ت) .

17- محمد يوسف وساعد : المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة ، (مصر أنموذجا ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010.

18- نجية إسحاق عبد الله محمد : سيكولوجية البغاء (دراسة نظرية وميدانية) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، (د ط) ، (د ت) .

19- نوال السعداوي : هبة رؤوف عزّت : المرأة والدين والأخلاق ، مطبعة سيكو ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000.

المذكرات :

20- سليم رهيوي : صورة المرأة في ديوان السّاعر لـ : محمد جربوعة مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب اللغة العربية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2015/2014.

21- عبد الرحمن بن جبرين الجبرين ، جريمة البغاء ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، قسم العدالة الجنائية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، (د بلد) ، 2005.

22- لخضر حليتم : صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ، مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة المسيلة ، المسيلة ، الجزائر ، 2009/2010.

23- وائل علي فالح : صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، كلية آل البيت ، (د ت) ،(د بلد) ، (نقلا عن الإنترنت) .

المجلات :

24- مختار سويلم : دور المرأة الشعابنية في الثورة التحريرية نواصر عائشة (الخنساء الأحزان الشعابنية) نموذجا ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، المجلد 7 ، العدد 2 ، 10/01/2014.

الملتقيات :

25- سليمة بطوطن ، إيمان محامدية : المرأة العاملة والعلاقات الأسرية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري قاصدي مرباح ، ورقلة ، الملتقى الوطني (02) : حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة ، في : 2013/04/10/09 .

المواقع الالكترونية :

26- عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل : المرأة في ظل الجاهلية القديمة والحديثة ، الإسلام اليوم ، http//.www.islamtooday.net

27- محمد علي قبول : مكانة المرأة في ظل الحضارات القديمة والحديثة شبكة الألوكة ، http//.www.alukah.net .

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

مقدمة ..... أ ب ج

مدخل : صورة المرأة في المجتمع بين القديم و الحديث 4

1- صورة المرأة في العصور القديمة 5

2- صورة المرأة في العصر الحديث 21

الفصل الأول : صورة المرأة و أهم أدوارها من خلال المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " 32

1- دراسة تحليلية للمجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " 33

2-أهم أدوار المرأة من خلال المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " 35

- المرأة المتعلّمة 35
- المرأة العاملة 38
- المرأة الأم 42
- المرأة الزوجة 45
- المرأة و البغاء 48

الفصل الثاني : الصورة الفنيّة للمرأة بين القديم والحديث 58

1-الصورة الفنية للمرأة في القديم 59

* التشبيه 59

* الاستعارة 63

* الكناية 67

2- الصورة الفنيّة للمرأة في الحديث 71

خاتمة 83

ملحق 85

قائمة المصادر و المراجع 95

فهرس الموضوعات 100

الملخّص :

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى الكشف عن صورة المرأة من خلال المجموعة القصصيّة " سرّ البيت المفتوح " للقاص "سعدي صبّاح " ، وذلك بعدما تطرّقنا إلى الكشف عن علاقة المرأة بالرّجل و مكانتها في المجتمع . فانتظم البحث في فصلين تطبيقيين يسبقهما مقدّمة و مدخل ، ثم ذيّل البحث بخاتمة وكانت نتيجة لما سبق .

Résumé :

Ce projet vise à découvrir l'image de la femme à partir le groupe rom anesque « le secret de la maison ouverte » du romancier « Saadi Sabah » , en étudiant la relation de la femme avec l'homme et sa position dans la société . Ce projet s'organise en deux chapitres pratique précédé par une introduction et préambule et se termine par une conclusion c'est une synthèse de se projet .